

— عبد الوهاب القصاب —

الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٨ - ١٩٨٠

قراءة تحليلية مقارنة
في مذكرات الفريق الأول الركن
نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



الحرب العراقية - الإيرانية

1988 - 1980

قراءة تحليلية مقارنة

في مذكرات الفريق الأول الركن

نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي

الإهداء

إلى الدم العراقي النبيل الذي سفح دفاعًا عن حياض
الوطن في أشرس حرب خاضها العراقيون للدفاع عن وطنهم
وقيمهم.

إلى الأجيال الشابة الجديدة دروسًا وعِبَرًا...
أهدي هذا الجهد المتواضع.

الحرب العراقية - الإيرانية

1988 - 1980

قراءة تحليلية مقارنة

في مذكرات الفريق الأول الركن
نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي

عبد الوهاب عبد الستار القصاب

الغلاف: صورة من «معركة تحرير الفاو»، 1988

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES



الفهرسة أثناء النشر إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

القصاب، عبد الوهاب عبد الستار

الحرب العراقية - الإيرانية، 1980-1988: قراءة تحليلية مقارنة في مذكرات الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرج / عبد الوهاب عبد الستار القصاب.

176 ص. : ايض.، خرائط ؛ 22 سم.

يشتمل على بيليوغرافية وفهرس عام.

ISBN 978-9953-0-2930-6

1. الحرب الإيرانية - العراقية، 1980-1988. 2. الخزرجي، نزار عبد الكريم
فيصل. ب. العنوان.

955.0542

العنوان بالإنكليزية

The Iraq-Iran War

1980-1988

**A Comparative Analytical Reading of the Memoirs of
General (General Staff) Nizar Abdulkareem Faysal Al-Khazraji**

by Abdulwahab Abdulsattar Al-Qassab

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES



شارع رقم: 826 منطقة 66

المنطقة الدبلوماسية الدفعة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر

هاتف: 00974 44199777 فاكس: 00974 44831651

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان

هاتف: 00961 1 991837 فاكس: 00961 1991839

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، كانون الثاني/يناير 2014

المحتويات

7	قائمة الخرائط.....
9	مقدمة: كلمة لا بد منها.....
13	الفصل الأول: المدخل.....
53	الفصل الثاني: خلفيات النزاع.....
	الفصل الثالث: الحرب العراقية - الإيرانية
75	المقدمات والنتائج.....
93	الفصل الرابع: إخفاقات ونكسات.....
113	الفصل الخامس: معارك التحرير الكبرى.....
123	الفصل السادس: تحليل أدوار القوات والصنوف (الأسلحة)....
143	الفصل السابع: الدروس المستنبطة من هذه الحرب.....
159	خاتمة.....
163	المراجع.....
169	فهرس عام.....

قائمة الخرائط

الخريطة (1-1): مناورة القوات العراقية للوصول

إلى جبهة الجولان 30

الخريطة (2 - 1): خريطة العراق الطبيعية ويبدو فيها القاطع الشمالي

الجبلي الذي يتساوى فيه تأثير الحدود في الجانبين

والقاطع الأوسط الخطر على بغداد، والقاطع الجنوبي

شديد الخطورة من الناحية الاستراتيجية..... 58

الخريطة (2 - 2): القطاع الحدودي الأقرب إلى بغداد:

قاطع مندلي - النفط خانة - بغداد..... 62

الخريطة (2 - 3): انزياح خط الحدود في شط العرب لغير مصلحة العراق

عبر الفترة التعاهدية منذ اتفاقية 1639

حتى عام 1975 67

الخريطة (3 - 1): موقع جزيرة الخضر (عبادان)

وخطورتها الاستراتيجية التي كان يجب أن تكون الهدف

الأول للقوات العراقية 91

مقدمة

كلمة لا بدّ منها

ما دفعني إلى كتابة هذا الكتاب هو المذكرات الأمانة والمتميزة التي كتبها واحدٌ من الشهود المهمين على حربِ ضروسٍ عاصرها منذ بدايتها، حتى شهد نهايتها نتيجة خمس مناورات ذات طبيعة استراتيجية وعملية، أثبت فيها أن جيشاً عربياً بإمكانه أن يبلغ أعلى الدرجات في التدريب والأداء القتالي إذا تمكّن القائمون عليه، قادة وهيئات ركن، من التدقيق في انتخاب أولوياتهم في التسليح والتدريب والإعداد القتالي.

لم تكن الحرب العراقية - الإيرانية حرباً عبثية، بل حرباً دافع العراقيون فيها عن حدود بلدهم وذادوا عن حياض وطنهم وأمتهم بدمائهم ومالهم وعرقهم. قاتلوا للحفاظ على قيمهم وأمنهم القومي وشخصية بلدهم المميّزة الضاربة في أعماق التاريخ كمهدٍ للحضارة الإنسانية. لم يكن العراقيون عدوانيين أو معتدين في هذه الحرب، بل صدّوا العدوان الذي بدأ في الرابع من أيلول/ سبتمبر 1980 بمناوشاتٍ حدودية تصاعدت شيئاً فشيئاً، واستُخدمت فيها

الأسلحة كافة. من هنا فإن ما ستضيفه مذكرات الفريق الخزرجي سيسهم بالتأكيد في إجلاء الحقائق ووضع الأمور في نصابها الحقيقي.

كان لي الشرف فعلاً أن يعهد إليّ «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» ممثلاً بمديره العام عزمي بشارة أن أعمل مع مؤلف المذكرات، وهو الشخص الذي أكنُّ له كثيراً من الاحترام والالتزام لأنني عملت بإمرته طوال تسنمه منصب رئيس أركان الجيش، فكنت مستشاره البحري، ثم مستشاره لشؤون البحث والتطوير. لم تكن معرفتي بالفريق الأول الركن نزار الخزرجي بنت يومها، أي أيام عملي تحت قيادته في الأركان العامة، بل تذهب بعيداً إلى أيام كنت مبتعثاً إلى الهند للدراسة في منتصف عقد السبعينيات، وكان يعمل ملحقاً عسكرياً للعراق في الهند، عرفته منذ ذلك الحين ضابطاً يتميز عن الآخرين كثيراً.

سيجد القارئ سرداً أميناً غاية في الموضوعية لمراحل هذه الحرب الضروس، ومحطات مهمة ينظر فيها الفريق الخزرجي بعين ناقدة وفكر موضوعي إلى أداء القوات المسلحة العراقية، ليس في مراحل الإخفاق فحسب، بل في مراحل الانتصار والتألق أيضاً. ولعل في هذا ما يزيد من درجة الثقة بما أورده كاتب المذكرات عما تضمنته مراحل الحرب العراقية - الإيرانية من حوادث. كان موضوعاً جذاً وهو يناقش قضية الأسلحة الكيماوية وضرب حلبجة المزعوم، إذ بيّن بتجرد روايته الشخصية منذ أبلغته هيئة ركن القيادة العامة بأن مراقبة الشبكات الإيرانية تنبئ بأن شيئاً ما يجري

في جبهة حلبجة، ومتابعته مع مختلف القوات والأسلحة لكل ما يجري.

صمّمت وأنا أعمل على مشروع المذكرات أن أكتب بشكل جانبي عما أحاط بها من وجهات نظر الكتاب والخبراء والمحلّلين الغربيين، ووددتُ أن يكون ما أكتبه تقديمًا لكتاب المذكرات، لكن حصيلة عملي كانت كبيرة جدًا بمقياس المقدمات، لذلك أثار «المركز العربي» مشكورًا نشرها ككتاب مستقلّ يصدر بموازاة المذكرات.

في الختام أودُّ الإشارة إلى أن هذا المشروع لم يكن ليشهد النور في هذه الأحوال الملتبسة لولا الدعم الكريم الذي قدمه «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» الذي أتشرف بالانتماء إليه، ولولا التشجيع الأخوي من مديره العام عزمي بشارة.

الفصل الأول

المدخل

لم يكن ما جرى في الفترة بين 4 أيلول/ سبتمبر 1980 والثامن من آب/ أغسطس 1988 حرباً عبثية، ولا عملاً عدوانياً ماثلاً مهماً قيل عنه من مختلف الجهات التي تعاملت مع هذه الحرب. كما أن هذه الحرب لم تندلع نتيجة نزاع حدودي على مخفر فحسب، أو على مركز حدودي هنا أو هناك على طول هذه الحدود الطويلة والمعقدة التي تفصل بين بلدين اتسمت العلاقة بينهما بالشد والجذب منذ خمسمئة عام على الأقل. وكانت هذه الحرب بحق أطول حروب القرن العشرين خاضها جيشان ينتميان إلى دولتين مكتملتي السيادة، استخدما فيها آخر ما أتيح لهما من تقانة عسكرية وجدت طريقها إليهما عبر التوريد الرسمي التعاقدي المعروف، أو ما أتاحته السوق السوداء عبر وسطاء وتجار السلاح، أو عبر عمليات سرية خاصة كما في حالة «إيران غيت» حيث جهزت الولايات المتحدة إيران بأسلحة وأعتدة وقطع غيار عبر عملية تحولت إلى فضيحة ما سُمي بـ «إيران كونترا». ولم تكن إسرائيل بعيدة عن هذه العملية، أو عمليات أخرى لم تُفصح⁽¹⁾.

(1) صدر عن مجلس الأمن القومي الأمريكي ملف غطى قضية أولي نورث، انظر:

National Security Archive, «The Oliver North File: His Diaries, E-Mail, and Memos on the Kerry Report, Contras and Drugs,» (National Security Archive Electronic Briefing

تناول موضوع الحرب العراقية - الإيرانية العديد من الباحثين، غربيين وعرباً وإيرانيين وهنوداً وغيرهم، تنوعت دوافعهم واجتهاداتهم بتنوع قناعاتهم التي شكلها انحيازهم الفكري والعقدي. فالطرفان نظرا إلى هذه الحرب باعتبارها عدواناً قام به الطرف الآخر، واختلفا لذلك في تعيين يوم بدايتها، حيث عدّ العراق يوم الرابع من أيلول/ سبتمبر 1980 هو اليوم الذي اندلعت فيه الحرب استناداً إلى القصف المدفعي العنيف الذي قامت به إيران على المدن الحدودية العراقية في القطاع الأوسط من الحدود عند المنفذ الحدودي البري الرئيس في خانقين. ويّين العراق أن إيران قامت بهذا العدوان انطلاقاً من أراضٍ اعترفت اتفاقية 1975 بعائدتها إلى العراق وتلكأت حكومة الشاه بتسليمها إلى العراق بسبب الظروف المحلية القلقة كما ادعت. بالمقابل قامت القوات العراقية بسلسلة عمليات حدودية محدودة لإعادة هذه الأراضي إلى العراق، ونجحت في ذلك. صعدت إيران في هذه الفترة من تعرضها للعراق بزج القوات الجوية الإيرانية، وأسقط العراق طائرة فانتوم إيرانية وأسر قائدها حياً. ويُعد هذا أكبر دليل لدى العراق على أن إيران هي البادئة بالحرب.

قام العراق بعد تفاقم الأزمة بهجوم واسع هدف إلى إجهاض أي هجمات إيرانية واسعة بالقوات البرية ولانتزاع المبادأة من الطرف المقابل. وحدث هذا التعرض الإجهاضي بعد ظهر يوم

22 أيلول / سبتمبر 1980 الذي تعتبره إيران يوم اندلاع الحرب بـ«العدوان العراقي» ضدها.

من بين هذه الأمور المتشابكة سنحاول التعامل مع قضية هذه الحرب باعتبارها أمرًا عاشه البلدان الجاران، وأخذ مدًى زمنيًا طويلًا ليصل إلى نهايته بعد أن استعاد العراق المبادأة، ونفذ عملياته الكبرى الخمس التي حسمت نتيجة هذه الحرب.

من هنا قمنا بدراسة أكثر ما كتب عنها من مصادرها المختلفة، وتعاملنا معها تعاملًا حياديًا ما استطعنا ذلك، ملتزمين الموضوعية المطلوبة من المؤرخ والمحلل.

لهذا تناولت في هذا الكتاب ما نمى إلى علمي من تطورات طوال هذه المدة التي استمرت فيها الحرب نتيجة اشتغالي في أعلى أركان هيئة قيادية في القوات المسلحة العراقية، توصلت بسببها إلى تصويبات بعض ما ذهب إليه الباحثون من عرب وأجانب مما تقتضيه الأمانة العلمية وأمانة المؤرخ.

عرض المصادر

كُتب الكثير عن هذه الحرب بأقلام كتّاب غربيين بالدرجة الأولى، لأنها تميزت باندلاعها بين بلدين جارين على درجة من غنى الموارد تتيح لهما الاستمرار في القتال إلى أن يُنهكا معًا. كما يُظنُّ أن أحد أهداف الدفع غير المباشر إلى هذه الحرب من جانب دوائر غربية هو أنها لا ترغب في أن ترى بعد الشاه في هذا الإقليم

الحيوي قوة يُعتدُّ بها، يمكن أن تشكّل تهديدًا لمصالحها، أو لبقاء «إسرائيل» وأمنها.

من هنا، كانت مصلحتها حقيقية في إطالة زمن هذه الحرب على غير ما ظنّ العراقيون على الأقل. وفي عرضنا ما كُتب عنها يُمكننا الإشارة إلى نماذج أتيح لنا الاطلاع عليها، أو إلى خلاصاتها أو عروضها. أصدرت دار روتلج (Rutledge) كتابًا بعنوان أطول الحروب: الصراع العسكري العراقي - الإيراني 1980 - 1988، كتب فيه ديليب هيرو (Dilip Hiro) فصلاً بعنوان «جذور الصراع: بعد الثورة الإيرانية»، تناول فيه الجذور التي أدت إلى هذا الصراع والتي سنمرُّ عليها في هذا التقديم.

نرى من الأوراق البحثية المهمة أن مساهمات ديليب هيرو في الكتابة مبكرًا عن الحرب العراقية - الإيرانية بمختلف جوانبها شكلت معينًا جيدًا للباحثين، حيث استرعت اهتمامنا دراسته الجيدة «مسرد الحرب العراقية - الإيرانية»⁽²⁾ (Chronicles of Gulf War). ومن كتاباته أيضًا دراسته المهمة: «جذور الصراع: بعد الثورة الإيرانية» (The Roots of Conflict: After The Iranian Revolution) المنشورة في كتاب أطول حرب: الصراع العسكري العراقي - الإيراني (The Longest War: Iran-Iraq Military Conflict)⁽³⁾، الذي يُعتبر مرجعًا مهمًا في هذا المجال.

Western Political Quarterly, vol. 41, no. 4 (December 1988), pp. 689-723, (2) and «The Strange War in the Gulf,» Merip Reports, nos. 125-126 (July - September 1984), pp. 3-14.

Dilip Hiro, *The Longest War: The Iran-Iraq Military Conflict* (New York: (3) Routledge, 1991).

وكتب إفرايم كارش أكثر من عمل عن هذه الحرب، لعل منها الفصل الخاص بقرار الحرب في كتابه المشترك مع إيناري راوتسي (Inari Rautsi) صدام حسين: سيرة سياسية⁽⁴⁾، وأتيح لنا الاطلاع على هذا الفصل. وكتب كارش أيضًا: الدروس العسكرية المستنبطة من الحرب العراقية - الإيرانية⁽⁵⁾. فيما كتب ستيفن بليتيير فصلًا عن قرار العراق الذهاب إلى الحرب في الحرب العراقية - الإيرانية: فوضى في الفراغ⁽⁶⁾، وأتيح لنا الاطلاع على هذا الفصل والاستفادة من تحليلاته. وكتب بليتيير أيضًا مع آخرين كتابًا أصدرته مشاة البحرية الأميركية لتحليل القدرات العراقية عشية عملية «عاصفة الصحراء» بعنوان دروس مستفادة: الحرب العراقية - الإيرانية⁽⁷⁾. وكتب فيليب روبنز فصلًا بعنوان «العراق في حرب الخليج: الأهداف والاستراتيجيات والمعضلات» في كتاب حرب الخليج: الأبعاد الإقليمية والدولية⁽⁸⁾.

كذلك كتب المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة كتابًا عن هذه الحرب، يبدو من خلال المخططات الملحقة به أنه استند إلى

Efraim Karsh and Inari Rautsi, *Saddam Hussein: A Political Biography* (4) (London: Brassey's, 1991).

Efraim Karsh, «Military Lessons of the Iran-Iraq War,» *Orbis* (Spring 1989). (5)

Stephen C. Pelletiere, *The Iran-Iraq War: Chaos in a Vacuum* (New York: (6) Praeger, 1992).

Stephen C. Pelletiere and Douglas V. Johnson, *Lessons Learned: The Iran-Iraq War* (Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1991), vol. 1. (7)

Hanns W. Maull and Otto Pick, eds., *The Gulf War: Regional and International Dimensions* (New York: St. Martin's Press, 1992). (8)

تحليل دائرة العمليات المصرية للحرب العراقية - الإيرانية، وأشرنا إليه ونقصدنا بعض جوانبه⁽⁹⁾. وكتب ج. حسين راضي من جامعة هيوستون ورقة بحثية بعنوان «نموذج بديل من عقلانية الدولة في السياسة الخارجية: الحرب العراقية - الإيرانية»⁽¹⁰⁾، أطلعنا على وجهة نظر الباحث في عقلانية اتخاذ قرار الحرب على مستوى الدولة باعتبار هذه الحرب مثلاً.

كتب ديفيد سيغال (David Segal) دراسة بعنوان «الحرب العراقية - الإيرانية: تحليل عسكري»⁽¹¹⁾ (The Iran-Iraq War: A Military Analysis). واستفدنا من توجهاته التحليلية التي تمثل وجهة نظر غريبة إلى هذا الصراع.

من المصادر المهمة أيضاً في هذا المجال الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية في واشنطن (CSIS) لأنثوني كوردسمان وأبراهام واغتر بعنوان دروس الحرب الحديثة: الحرب العراقية - الإيرانية⁽¹²⁾ (Lessons of Modern War: The Iran-Iraq War)، وترجم إلى العربية بنسخ محدودة التوزيع وقامت بالترجمة كلية القيادة والأركان الإماراتية. تخصص الجزء الثاني

(9) تم الحصول على النسخة التي لدينا من موقع مكتبة الإسكندرية الإلكترونية: <http://www.bib-alex.com>.

G. Hossein Razi, «An Alternative Paradigm to State Rationality in Foreign Policy: The Iran-Iraq War,» *Western Political Quarterly*, vol. 41, no. 4 (December 1988).

David Segal, «The Iran-Iraq War: A Military Analysis,» *Foreign Affairs*, (11) vol. 66, no 5 (Summer 1988), pp. 946-963.

Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*.

منه بالحرب العراقية - الإيرانية بصفحاتها وتطوراتها وتداعياتها كلها. واعتمدنا على تحليلاته بعين ناقدة في إدراك التفسير الغربي لهذه الحرب. كتب الرائد و. جاك ديز (W. Jack Dees)، الرائد في الجيش الأميركي، رسالة بحثية إلى كلية الحرب البحرية في نيوبورت بعنوان «فاعلية العراق العسكرية في حربه مع إيران» (The Iraqi Military Effectiveness in the War with Iran)، اختبر فيها كفاءة المؤسسة العسكرية العراقية بقيادتها وهيئة أركانها وقواتها المقاتلة في تعاملها مع مختلف أوجه المواجهة، ومدى تطور أدائها طوال الحرب. واعتمدنا ما جاء بها من تقويم عام بعد إخضاعه للمناقشة.

لدليلب هيرو أيضًا كتاب مهم بعنوان إيران في حكم آيات الله⁽¹³⁾ (*Iran Under Ayatollahs*)، اطلعنا على مقتبسات منه ومراجعة جيدة لغلشان ديتل (*Gulshan Dietl*) بعنوان «زهور الخميني»، واستفدنا من تحليلاته عن دور المؤسسة الدينية غير المنقطع في الحياة الإيرانية.

له أيضًا كتاب بعنوان جيران لا أصدقاء: العراق وإيران بعد حربي الخليج (*Neighbors Not Friends: Iraq and Iran after the Gulf Wars*) كتبه في وقت متأخر بعد حرب العراق وإيران، وحرب إخراج العراق من الكويت، والقناعة المستقاة من هذا الكتاب هي استمرار حالة الصراع والنزاع بين البلدين، والأهم هو اقتناعه باستمرار دور

Dilip Hiro, *Iran under the Ayatollahs* (London; New York: Routledge and Kegan Paul, 1985).

رجال الدين الإيرانيين في الحياة الإيرانية بجوانبها كافة مهما حصل في إيران من تغيير داخلي. والكتاب على الرغم من غناه بالتفاصيل يفتقر إلى التحليل المعمق والحيدة المعرفية بين الطرفين، لأنه يظهر تماهياً بوجهات النظر الإيرانية في بعض الأحيان.

لمجيد خدوري كتاب مهم بعنوان حرب الخليج: الخلفيات والآثار⁽¹⁴⁾ (*The Gulf War: The Origins and Implications*) ألقى فيه الضوء على قضية شطّ العرب والحدود البرية في دراسة تاريخية توثيقية مفصلة، وأفادنا الاطلاع عليها في ترصين معرفتنا بهذا الصدد.

كذلك قدّم ويل د. سويرنغن (Will D. Swearingen) دراسة مهمة بعنوان «الخلفيات الجيوسياسية للحرب العراقية - الإيرانية»⁽¹⁵⁾ (*Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War*)، تناولت البعد الجيوسياسي للصراع.

أما كاتب هذه السطور فله كتاب صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان احتلال ما بعد الاستقلال - التداعيات الاستراتيجية للحرب الأمريكية على العراق، تناول فيه الحرب العراقية - الإيرانية ومراحلها وأسبابها. وترجمنا أيضاً كتابين مهمين لأطروحتي دكتوراه قدّمهما باحثان إيرانيان لنيل شهادة

Majid Khadduri, *The Gulf War: The Origins and Implications of the Iraq-Iran Conflict* (New York: Oxford University Press, 1988).

Will D. Swearingen, «Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War,» (15) *Geographical Review*, vol. 78, no. 4 (October 1988), pp. 405-416.

الدكتوراه من جامعتين أميركيتين: سوسولوجيا المسجد الشيعي في الثورة الإيرانية لسيروس وكيل الزاد (جامعة بوسطن، 1987)، وتحليل اجتماعي للثورة الإيرانية لمنصور معدل (جامعة وسكنسن، 1987). ولل فريق الركن رعد الحمداني كتاب بعنوان قبل أن يغادرنا التاريخ وصف فيه من بين أمور أخرى تجربته خلال الحرب العراقية - الإيرانية من مواقعه القيادية بصفته آمر كتيبة وأمر لواء في الحرس الجمهوري.

أولاً: من هو الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي؟

إن صاحب كتاب الحرب العراقية - الإيرانية 1980 - 1988، مذكرات مقاتل الذي نحن بصدد قراءته وتحليله في دراسة تحليلية مقارنة هو بطل حقيقي من أبطال الأمة، وقائد عسكري فذ امتلك حرفة فن الحرب والعلم العسكري بأعلى مستوياته. وتمكّن بمعونة هيئة ركن كفاءة ومنتقاة من حسم هذه الحرب التي أراد أعداء العراق والأمة العربية أن تطول لتنهك البلدين المتصارعين كي تبقى في هذه المنطقة من العالم قوة واحدة ووحيدة هي الكيان الصهيوني.

عاش الفريق الخزرجي تجربة الحرب العراقية - الإيرانية المريعة منذ بدايتها، وكان قائداً لفرقة المشاة السابعة (فرقة جبلية) التي كانت متمركزة في قاطع السليمانية قبل الحرب، وكُلِّفت بواجبات الأمن الداخلي. وتمت إعادة توجيهها والمناورة بها إلى قاطع الفيلق الثاني شرق بغداد، وتولّت مهمة قاطع كيلان غرب

في هذا القاطع منذ أوائل أيام الحرب. ومنذ اندلاع الحرب حتى قيامه بكتابة الفصل الأخير منها مع ضباط القوات المسلحة العراقية وجنودها كان متعايشًا معها بإنجازاتها وإخفاقاتها.

لاحظ الفريق الخزرجيّ، وفي وقت مبكر النفق المظلم الذي أُعدّ لينزلق فيه العراق ويتورّط بحرب استنزاف طويلة تدفع باتجاه هذين:

- تحييد قدرة العراق الفائقة باعتبارها عاملاً حاسماً في المواجهة مع العدو الإسرائيلي.

- ترك الحرب لتأخذ ضريبتها الباهظة من البلدين المتحاربين اللذين كان احتواؤهما وإنهاكهما هدفاً، يصبُّ في مصلحة ذلك الكيان العدواني.

عاش الخزرجيّ هذه المعاناة وهو يشهد العديد من زملائه وأحبائه وتلامذته من الضباط تُسفك دماؤهم دفاعاً عن وطنهم، الأمر الذي جعل من استشهادهم خسارة نوعيّة لجيش عُرفت عنه حرّفته العالية، فظل يفكر ويتحسّب في محاولة منه لإيجاد إجابة عن الكيفية التي تحسم بها هذه الحرب لمصلحة العراق، بحيث يخرج منها منتصراً، محققاً ردّاً واضحاً لأعدائه، يمنعهم عن التعرض لآمنه في المستقبل.

أشرت في تقديمي المذكرات إلى محطات مهمة ساهمت في صوغ شخصيته العسكرية، منها انحداره من عائلة عسكرية تمثلت في كلّ من أبيه العميد عبد الكريم فيصل الخزرجي الذي

يعود إليه الفضل في غرس الشخصية العسكرية في نفس ولده البكر نزار، ثم عمه اللواء الركن إبراهيم فيصل الأنصاري الذي يعود إليه الفضل في تربيته العسكرية وصقل شخصيته وإبراز صفاته وخصائصه القيادية عندما عمل تحت قيادته المباشرة حين كان الأنصاري قائد الفرقة الثانية، فرقة العراق الجبلية الباسلة المتمرسية في الحرب والقتال. ولكونه ضابطاً من أوائل الضباط البعثيين في الجيش العراقي، فإنه عاش مرحلة معاناة أليمة عندما قرّر البعث سجن اللواء الركن الأنصاري رئيس أركان الجيش، ولولا أن قيض له تأدية دور مهم في التبصير بخصائصه الحقيقية والجور الذي لحق به، عندما أتاحت له فرصة لقاء نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في حينه، لربما كان القدر قد سلك مسلكاً آخر مع الأنصاري.

تركت حادثة الأنصاري جرحاً عميقاً عاناه وآلى على نفسه ألا يجعل الشأن الحزبي يطغى على مهمته الأولى في الحياة، أي أنه ضابط في القوات المسلحة العراقية.

ثانياً: هل كانت هذه الحرب لازمة؟

اتسمت هذه الحرب بأن الطرفين قاما بها بشكل مختلف، فمن اختيار الاحتكاك الحدودي ومحاولة إذكاء الانقسام الطائفي في العراق وسيلة للصراع من الجانب الإيراني المعروف عنه طول الأناة والنفس الطويل والحصول على المغنم بتراكم الإنجازات الصغيرة، إلى أخذ المبادرة (Initiative) والاحتفاظ بها من الجانب

العراقي باعتبارها الوسيلة الأسرع والأنجع للوصول إلى الهدف وتحقيقه، وهذا إنجاز قاد في ما بعد إلى نجاح عمليات التحرير الكبرى الخمس التي رسمت نهاية هذا الحرب التي طالت أكثر مما يجب نتيجة إصرار كلٍّ من القيادة الإيرانية من جهة، وقوى عالمية في مقدّمها الولايات المتحدة الأميركية على إطالة أمدها، لتحويلها بؤرة استنزافٍ خطيرة لقوى أكبر بلدين إقليميين في المنطقة (العراق وإيران). وهنا لا بدّ من الإشارة إلى سوء تقدير لتداعيات هذه الحرب من جانب القيادة العراقية، ما ساهم في تحميل العراق دولةً وشعبًا الكثير من الدماء والأضرار والأموال. وسنشير لاحقًا إلى تخمينات عن الخسائر المادية والبشرية التي تحمّلها الطرفان في هذه الحرب بحسب التقديرات الدولية المعتمدة.

كان أخذ العراق المبادأة بعد أن حقّق مخادعة ناجحة في بداية هذه الحرب في 22 أيلول/ سبتمبر 1980 إنجازًا على صعيد التخطيط الاستراتيجي، لكنه فشل في الاحتفاظ بها إلا لفترة محدودة، وأجبر على التخلي عنها نتيجة سوء في التخطيط اللاحق، وعدم تفهم متطلبات مرحلة استثمار النصر.

تتحمل القيادتان السياسية والعسكرية في العراق المسؤولية عن عدم الإحاطة ببعض نواحي القصور في إعداد القوات المسلحة عند التخطيط لهذه الحرب في المراحل الأولى التي مهّدت لها، إذ تم على أساس الموقف آنذاك اتّخاذ القرار بتنفيذ الضربة الاستباقية (Preemptive Strike). وأشار الفريق الخرجي

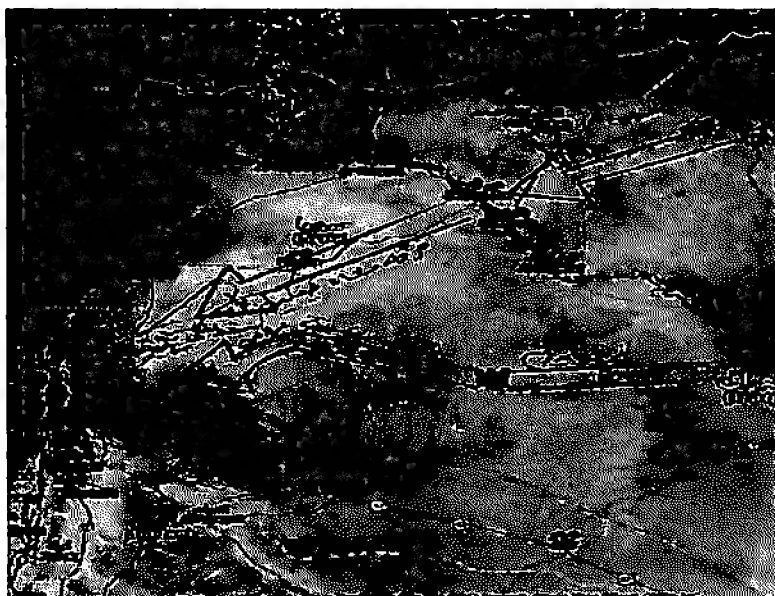
إلى ذلك صراحة، خلال المؤتمر الذي رئسه نائب القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع الفريق الأول الركن عدنان خير الله، عندما استمع إلى إيجاز قائد الفيلق الأول وقادة فرقه (وهو منهم إذ كان قائداً للفرقة السابعة)، فبيّن الفريق الخزرجي في مداخلته أن زجّ القوات المسلحة في عملية واسعة النطاق من هذا النوع يستدعي إعادة تأهيل القوات المنهمكة بعمليات الأمن الداخلي في شمال القطر، ولمدة ليست بالقصيرة. لم تستقبل هيئة التخطيط في الأركان العامة ملحوظاته بارتياح. ولعلّ من الإنصاف بيان أن القوات المسلحة العراقية، بناءً على عقيدتها العسكرية لم تكن تُدرّب قواتها المسلحة بالنسبة إلى الحدود الشرقية إلا على العمليات الدفاعية. وسنجد في هذا الكتاب كيف أن محاور العمليات والطرق النافذة إليها لم تكن تعالج إلا من ناحية الدفاع فحسب في عملية التدريب والتهيئة التي تمارسها القطعات، وأن طرق المواصلات في هذه المحاور كانت تُدرّس في كلٍّ من الكلية العسكرية وكليتي الأركان والحرب باعتبارها محاور تهديد محتمل يقتضي الدفاع عنها. فخط الحدود في العلاقات الدولية هو خطّ مقدس، لهذا تم تدريب القوات المسلحة على الرد دفاعيًا على كل من يحاول انتهاكه. وما كان هدف الاندفاعات العملياتية التي نفّذها الفيلقان الثاني والثالث في جبهة العمليات إلا الوصول إلى مناطق يمكن الدفاع عنها كما سنوضح ذلك في ما بعد. من هنا فإن الانتقال من الدفاع إلى التعرض، بل إلى الاستباق، وضع على كاهل هيئة التخطيط عبئًا ثقیلاً حاولت جهداً تحمّله والخروج به بأفضل الحلول، ذلك

أن القيادة العسكرية وهيئة ركنها المتمثلة بالأركان العامة كانتا تحاولان أن تتماهيا بما ترمي القيادة السياسية التوصل إليه من ضربتها الاستباقية، من دون أن تتم تهيئة متطلبات هذه العملية التي تُعدّ من العمليات العسكرية المتقدمة وذات المتطلبات المعقدة المتداخلة توقيتاتها ومراحلها، ومن جهة أخرى كان غياب النظر إلى العواقب بتعمق، وعدم الخوض في تفاصيل تداعيات الضربة، ومرتببات الدخول إلى أراضي الآخرين، والاكتفاء على ما يبدو بالتحول إلى الدفاع وترصين المواضع الدفاعية، وهو ما تدرّبت عليه القوات المسلحة طوال تاريخها، كان هذا كله بأمل الانتظار حتى تستجيب القيادة الإيرانية لحجم التحدي العراقي المائل، لتتحول العملية بذلك إلى الخيار التفاوضي الذي سيضع حدًا للحرب.

صحيح أن القوات المسلحة العراقية تدرّبت في مراحل مهمة من عقد السبعينيات على عقائد قتالية جديدة في استخدام القوات، خصوصًا على الدفاع السيار، وأدخلت عقيدة جحفل المعركة (Battle Group Doctrine)، وتدرّبت عليها قواتها المدرعة والآلية والأسلحة المتجحفلة معها ونفّذتها، لكن ذلك لا ينفي أن أساس عقيدة القتال للجيش العراقي كان الدفاع حيال عدو متعرض علينا. حتى الواجب القومي الذي كانت قطعات الفيلق الثاني المدرع تتدرب عليه، كان يقصر مهمتها على التدخل لدعم وإسناد القوات العربية (الأردنية بشكل خاص عند تعرض العدو الصهيوني لها)، وكان ما قامت به القوات العراقية في حرب

تشرين 1973 على الجبهة السورية خارفاً لمقاييس استخدام القوات المسلحة بالأبعاد كلها، وحقق مباغثة كبيرة للعدو الصهيوني. فالتنقل على سرف (جنازير) الدبابات إلى مسافة تكاد تزيد على 1000 كلم ليس بالأمر الهين ولا القياسي (المألوف)، ولا يتطابق مع أسس الاستخدام التعبوي (التكتيكي) للقوات المدرعة، لكن اضطرار القوات المدرعة العراقية إلى التنقل بهذا الشكل كي تُزج في معركة الجولان وبسرعة، بعد أن نجح العدو الإسرائيلي في خرق الدفاعات السورية والتقدم صوب دمشق، جعل من اللجوء إلى هذا الخيار أمراً مطلوباً مهما كانت النتائج التي سيخلفها على الوضع الفني والكفاية القتالية للعجلات المدرعة من دبابات وناقلات أشخاص مدرعة وعجلات قتال مدرعة، الأمر الذي ستم دراسته وتحليله وتداركه بعد انقشاع دخان المعارك. لذلك أجهض وصول القوات المسلحة العراقية المدرعة والجبيلة واشتباكها مع العدو بوقت قياسي مخططاته. ولولا السياسة التي وضعت حدًا لاشتراك القوات العراقية في معركة الجولان بسبب قبول القيادة السورية قرار وقف إطلاق النار من دون التشاور مع القيادة العراقية، لكانت مخرجات حرب تشرين على الجبهة الشمالية من هذه الحرب شيئاً آخر مختلفاً تماماً. تُبين لنا الخريطة المبيّنة أدناه شكل المناورة الواسعة التي تحركت عليها القوات المسلحة العراقية لتصل إلى جبهة المواجهة في الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة في جبهة الجولان.

الخريطة (1-1) مناورة القوات العراقية للوصول إلى جبهة الجولان



من جانب آخر كانت القيادة السياسية المتمثلة بالرئيس ومجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب الحاكم قد أيقنت أن هذه الحرب لن تكون حرباً طويلة لنشوء قناعات سياسية ترسخت لديها قرنت الموقف الدولي حيال الوضع بين العراق وإيران بالموقف الدولي حيال الوضع في الصراع العربي - الإسرائيلي، أي إن العالم كان يتدخل لفرض وقف إطلاق النار عبر قرار ملزم من مجلس الأمن خلال مدة لا تتجاوز الخمسة عشر يوماً من اشتعال شرارة الحرب بعد التأكد من تحقيق الكيان الصهيوني أهدافه. في هذا الصراع الذي نحن بصدد تحليله حصل تحرك دولي، وأصدر

قرار عن مجلس الأمن رقمه 1980/479، لكن من دون تدعيمه بإرادة سياسية تفرض وقف إطلاق النار. صحيح أن فرض وقف إطلاق النار في الحروب العربية - الإسرائيلية كان يتم دائماً بعد أن تحقق إسرائيل أهدافها، لكن الدول العربية كانت تقتنع بأن قبولها وقف إطلاق النار هو الخيار الأفضل لديها بعد اندحار قواتها أمام العدو، لأن الطرف الخاسر وفق هذه المعادلة يسعى عادة إلى طلب وقف النار والقبول به فور إعلانته⁽¹⁶⁾.

كان تقدير القيادة السياسية العراقية أن إيران ستكون الخاسرة في هذه المواجهة بعد الضربة الاستباقية التي تشبه ضربة الخامس من حزيران/يونيو الإسرائيلية من بعض الوجوه (ضربة جوية مركزة أعقبها اندفاع مدرّع عزوم للوصول إلى أهداف ذات قيمة استراتيجية خطيرة تنقل المعركة إلى أرض العدو). كانت هذه هي أركان نظرية الأمن الإسرائيلية، ولذلك قدّرت القيادة العراقية أن هذا ما سيحصل بالضبط بعد الاندفاع الأولي، والتوقف على أهداف استراتيجية خطيرة وفي وضع يُمكن العراق من الدفاع، لكن ما فات القيادة العراقية ههنا هو عدم وجود تحليل نفسي للقيادة الإيرانية، أي قيادة الخميني التي تملك كمًا هائلاً من تزاوج التراكمات النفسية السلبية والدوغمائية المذهبية.

(16) نص القرار 1980/479 على أن يمتنع البلدان عن استخدام القوة، وأن يحلّا خلافتهما بالطرائق السلمية، وأن يسعيا إلى طلب وساطة المنظمات الدولية والدول لحل خلافتهما، وأن تمتنع الدول عن إمداد البلدين بما يساعد في استمرار النزاع، وأن يتولى الأمين العام مسؤولية متابعة الحالة وإبلاغ مجلس الأمن خلال 48 ساعة بما سيؤول إليه الوضع. انظر نص القرار على موقع الأمم المتحدة الإلكتروني: <<http://www.un.org>>.

كان يمكن أن تقبل قيادة إيرانية مدنية بوقف إطلاق النار لو كانت موجودة وأن تركز إلى التفاوض لحلّ الإشكال، كما يحدث عادة بين الدول المتحاربة، بسبب الخلل البارز الذي كانت تعانيه قواتها بعد الثورة. وهي حالة قدّرت القيادة العراقية على ما يبدو أنها ستكون السبب الرئيس في تحقيق نصر عراقي سريع يضع أمام القيادة الإيرانية خيارًا واحدًا فحسب، هو خيار الركون إلى السلم والدخول في مفاوضات لحلّ الإشكالات الحدودية والسياسية والدعوية بين الطرفين.

إن دراسة النزاعات العالمية السابقة وتحليلها بعمق وأخذ الدروس المستنبطة منها كانت ستدلل أنه ليس نجاح التعرض العسكري بالقوات المسلحة فحسب هو ما سيؤثر إلى عوامل النجاح، فالاندفاع الألماني العزوم تجاه بولندا والسويد واحتلال النمسا، واقتحام الدفاعات البلجيكية الفرنسية على خطّ ماجينو، والاندفاع إلى احتلال بلجيكا وفرنسا بعد ذلك، لم تحقّق الوصول إلى أهداف المخطّط الألماني من هذه الحرب التي كان يروم منها التسيّد على أوروبا باعتباره قوة وحيدة، كما لم تُسعف الألمان كل عملياتهم التعرضيّة واسعة النطاق التي تمتعت القوات الألمانيّة فيها بالحصافة المعروفة عن هيئة الركن الألمانيّة، مثل الاندفاع والدفاع على خطّ ستالينغراد - موسكو - لينينغراد (سان بطرسبرغ)، ولا احتلال النرويج، أو الإنزال في كريت جوّاً، ولا مطاردة البريطانيين في معارك شمال أفريقيا حتى العلمين على مشارف الإسكندرية. لم تكتب هذه العمليات العزومة كلها نهاية الحرب بل وسّعت نطاقها، وأدخلت مقاتلين جدّداً في الحرب بإعلان الولايات المتحدة

الحرب على ألمانيا واليابان. واليابان هي الأخرى مثل ساطع على أن الانتصار العسكري ليس وحده الذي يرسم نهاية الحرب، إذ تمكّنت اليابان عملياً من السيطرة على مسرح عمليات المحيط الهادئ (الباسفيك) ودمرت زهرة القوات البحرية الأميركية في معركة بيرل هاربر الشهيرة، ثم احتلت القلعة الإمبراطورية البريطانية في سنغافورة ووصلت عملياً إلى حدود الهند.

هنالك شيء من التشابه بين سلوك هيتلي الركن العراقية والألمانية حيال قيادتهما السياسيتين عند تخطيطهما للحرب في هاتين الحالتين، وهو أن من قرر التعرض هي القيادة السياسية، وهذا من صلب صلاحيتها، لكن كان يجب أن تُناقش رؤية هذه القيادة للتأكد هل يمكن تحقيق هدف الحرب بالإمكانات المتاحة أم لا، وهو أمر نرى أن هيئة الركن العراقية لم تقم به كما يجب، إذ لم تكن مشورتها على ما يبدو عاكسةً الوضع الحقيقي لمخرجات حرب مع جار، كان على الرغم من ضعفه يتمتع ببعض عناصر القوة التي ما زال يحتفظ بها بعد إضعاف القوات المسلحة الإيرانية، وتصفية قياداتها بعد الثورة⁽¹⁷⁾.

ينبغي ألا ننسى أن إيران تتمتع بفائضية تكاد تصل إلى 1:3 في كل من المساحة وعدد السكان، وأن مراكز التمرکز السكاني

(17) للاطلاع على أداء هيئة الركن الألمانية، انظر: David J. A. Stone, *Twilight of the Gods: The Decline and Fall of the German General Staff in World War II* (London: Conway, 2011); Larry H. Addington, *The Blitzkrieg Era and the German General Staff, 1865-1941* (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, [1971]), and Walter Goerlitz, *History of the German General Staff, 1657-1945*, Translated by Brian Battershaw; Introduction by Walter Millis (Boulder, Colo.: Westview Press, 1985).

الإيرانية بعيدة عن الحدود الدولية مع العراق بعدًا يَبْتَنَّا، ففي ما عدا عبادان والمحمرة، تتواجد المدن الأخرى الكبرى في العمق الإيراني على أبعادٍ أقلّها 180 كلم تقريبًا. في حين أن كل المدن العراقية الرئيسة تقع على بعد بسيط عن الحدود الدولية، فالبصرة ثاني أهم مدينة عراقية تكاد تحاذي الحدود، ولا تبعد بغداد عن الحدود إلا مئة كيلومتر أو ما يزيد قليلًا على الطريق (ثمانون كيلومترًا كمسافة شعاعية جوية)، ويصدق هذا على السليمانية وكركوك حتى الموصل. هذه حقيقة كان يجب أن يتم حسابها، وظلّت المدن العراقية المهمة، البصرة منها تحديدًا، تحت القصف المدفعي الإيراني طوال مدة الحرب، ولم تُعاقَب المدن الإيرانية إلا بعد اندلاع حرب الصواريخ بين البلدين عندما بادرت إيران إلى ضرب مدن العمق العراقي، ومنها بغداد بالصواريخ التي حصلت عليها من ليبيا أولًا، ثم من سورية وكوريا في ما بعد.

يعني كل ذلك أنه مهما كانت القدرة العسكرية القتالية المتاحة عظيمة، فإن هنالك عوامل مهمة أخرى قد لا تكون ظاهرة للعيان يجب أخذها بالاعتبار. من هنا توصف الحرب بأنها علم وفن في الوقت نفسه، هي علمٌ لأنها تخضع للقوانين العلمية في استخدام معداتها، وفن لأن مخرجاتها تعتمد كثيرًا على أدوات ووسائل فعل هيئات التخطيط فيها، وشخصيّة قائدها ومهاراته القيادية التي سنجد في كاتب المذكرات مثلًا بارزًا عليها. ويدخل في هذا المجال دراسة عادات وردات فعل العدو، ومدى توقعها ورسم الخطط لمواجهتها، وكذلك دراسة الموازين الدولية، وأنماط العلاقات الدولية والإقليمية بالنسبة إلى طرفي الصراع، نحن والعدو، وكذلك

مدى تيسر مصادر تجهيز السلاح وضمان أمن واستمرارية هذا الإمداد. وفي هذه الحرب سنجد أمثلة واضحة على كيفية لجوء البلدين المتحاربين إلى طيف واسع من الدول الصناعية التي وجدت في تقاطعهما فرصة ثمينة، لتشغيل مصانعها واليد العاملة فيها على حساب الدماء التي سالت من الطرفين للوصول بالحرب إلى نهاية ترضي قياداتهما. وهذا موضوع واسع يتطلب الكثير لدراسته وتحليله وسير أغواره. ما فات القيادة العراقية هنا، وما سيفوتها في عملية مقبلة ستتخذ قرارها بعد عشرة أعوام من اتخاذها قرار الرد على العدوان الإيراني بالاستباق (إذ ستتخذ قرارًا آخر بتوجيه ضربة استباقية من نوع آخر)، هو التحليل المعمق للوضعين الإقليمي والدولي، وللوضع النفسي والمعرفي للقيادة الإيرانية، ولكيفية استنباط وسائل وطرائق تهدف إلى التوصل إلى النتيجة ذاتها التي هدف إليها الاستباق، وهي قبر أحلام رجال الدين الإيرانيين بتصدير ثورتهم إلى العراق والخليج العربي لكن بوسائل أخرى.

فضلاً عن الإيمان بقدرة الاستباق بفرض أمر يقود إلى التفاوض، يبدو أن تصورًا ما كان يجول في ذهن القيادة العراقية بأن العالم لن يصبر على تعرض نحو 25 في المئة من الاحتياطي النفطي العالمي، أي حصة العراق وإيران مجتمعين، للخطر بسبب الحرب، وكذلك انقطاع ما ينتجه البلدان عن السوق النفطية العالمية لفترة أكثر من أسبوعين، متناسية أن لا العراق ولا إيران هما بمنظور إسرائيل بالنسبة إلى الغرب، ومتناسية أيضًا أن البلدين بعد شنهما الحرب بعضهما على بعض، وبغض النظر عن الدوافع، قد قدما نفسيهما في هذه الحرب كبشي فداء لتحقيق الاحتواء الذي

سعت الولايات المتحدة إلى تحقيقه عليهما معاً⁽¹⁸⁾. وسيتم التوسع في معالجة هذه القناعة في ما سيأتي من تحليل هذه الحرب، لكن ما يمكن أن يقال في هذا المقام هو أن العراق بعد أن أدرك أن هنالك دفعا إلى إطالة مدة هذه الحرب بما يتجاوز إمكاناته وبقائه أيضا بادر إلى الموافقة على أي جهد يسعى إلى إنهاء هذه الحرب والتحول إلى التفاوض السلمي، لحل هذا النزاع المرير. وكان كلا الجانبين المتحاربين يتحدث عن دفاعه المستميت عن أرضه وقيمته، وهي حالة كان يجب أن تفسح المجال للولوج إلى عملية سلمية تفاوضية تنهي الصراع، لو لم تتحكم بها «الغيبات» وتراكمات الماضي التي تنظر إلى الآخر العراقي «بصفته كافرا يجب قتاله»⁽¹⁹⁾. وتكشف لنا هنا حقيقة أن الجانب الإيراني تشبث بالحرب وإطالتها حتى تدمير نظام الحكم العراقي واجتثاث شأفة رئيسه الذي تمت شيطنته [اعتباره شيطانا] وتكفيره⁽²⁰⁾.

(18) انتشرت أقاويل كثيرة عن أن العراق خاض هذه الحرب نزولا عند إرادات أجنبية أغرته بها، وبهذا فإنه شئها نيابة عن آخرين. الثابت للمراقبين الذين عايشوا الأحداث من داخل العراق أن هذه الادعاءات ليست صحيحة أبداً، وأن قرار الحرب كان عراقياً اتخذته الرئيس استناداً إلى قناعات ارتقت إلى حد أن الكيان الوطني العراقي قد أضحي مهدداً فعلاً بهجوم إيراني وشيك نتيجة ما تبته الدعاية التي يشرف عليها رجال دين إيرانيون لا يعرفون من متطلبات العلاقات الدولية شيئاً، وأصموا أذانهم عن نصائح مخلصه قدمها دبلوماسيون وسياسيون ووطنيون، إلا أنهم لم يحفظوا باحترام رجال الدين كونهم ليبراليين أو يساريين ووطنيين، وكمثال على ذلك، انظر: Razi, «An Alternative Paradigm to State Rationality».

(19) انظر أيضاً: W. Jack Dees, *Iraqi Military Effectiveness in the War with Iran*, Middle East Special Studies, 1989-1991 supplement; 4. Special Studies Series (Newport, RI: Naval War College, [1990]), p. 15.

(20) انظر: مقابلة مع الرئيس الإيراني الأسبق أبو الحسن بني صدر ضمن برنامج =

من المفيد الإشارة إلى أن مواقف الإمام الخميني المضادة للرئيس صدام حسين كثيرة، نكتفي بإيراد موقف أشار إليه أبو الحسن بني صدر في مقابله مع شبكة الجزيرة في 17 كانون الثاني/يناير 2000، ويُن فيهِ أن الرئيس العراقي صدام حسين بعث مندوبًا مخوّلًا يحظى باحترام رجال الدين هو حفيد المرجع الأعلى الشيعي الأسبق السيد أبو الحسن الأصفهاني الذي قال لهم (على لسان الرئيس صدام كما يبدو): «.. ها قد انتصرت الثورة الإسلامية وتخلصتم من الشاه، دعونا نشيّد السلام بين بلدينا»، أجاب (الخميني): «لا، إن نظام صدام محكوم عليه بالسقوط، وسيسقط خلال ستة أشهر على الأكثر، وكى نغفو عنه (صدام) أرسل مبعوثه هذا».

كوني عراقياً لا بدّ لي من الإشارة إلى أن هنالك قناعة واسعة استقطبت العراقيين هي أن العراق خاض حرباً مشروعة للدفاع عن نفسه وهويته وقيمه، وما الأمن القومي في أبسط حالاته إلا نجاح الأمة في الحفاظ على سيادتها وقيمتها وهويتها ورفاهها⁽²¹⁾.

= «زيارة خاصة»، تحت عنوان «الثورة الإيرانية وأمريكا والعرب»، قناة الجزيرة، الدوحة، تاريخ 2000/1/17.

(21) مفهوم الأمن القومي مفهوم وجراج كثير التطور عندما تناقشه مدارس فكرية متعددة، وأصل المفهوم الجامع بين العديد من المفكرين هو قدرة الأمة (الدولة) على المحافظة على سيادتها وسلامة إقليمها وقيمتها. وهو في الحقيقة حصيلة الفعل المتأتي من تفاعل الدفاع والردع والجهد الاستخباري والسياسة الخارجية بما يصبّ في مصلحة سيادة الدولة ورفاه مواطنيها. كذلك عرّفه حامد ربيع في كتابه نظرية السياسة الخارجية بأنه الحد الأدنى الذي تسمح به دولة ما لحماية وجودها الذاتي. انظر: حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1969)، ص 29.

وكانت قيم الأمة والهوية الوطنية العراقية ورفاه المواطن العراقي كلها مهددة بالطوفان الذي كان يهدد البوابة الشرقية للأمة بسبب الأهداف والخطط المذهبية التي درج حكام إيران الجدد على محاولة تصديرها إلى العراق⁽²²⁾، كغطاء للسيطرة عليه ووضعه في مجال نفوذهم، بما يخدم التوسع القومي الجديد تحت طلاءات مذهبية ودينية.

أصدرت وزارة الخارجية العراقية كتابًا أجملت فيه التهديدات والخروقات الإيرانية للسيادة العراقية منذ استلام جماعة الخميني السلطة⁽²³⁾. والمفارقة هنا أن الدواعي الحقيقية لاندلاع الحرب بين

(22) لعل من الجدير بالذكر أن كل ما كان يحذرُه العراق من تسلُّل إيران وأفكار ثورتها إلى العراق، وهو ما كان أحد أسباب الاستباق العراقي، حصل بعد الغزو والاحتلال الأميركيين، وأي ناقد محايد ينظر إلى ما أضحي عليه الوضع في العراق بعد عشر سنوات من هذا الاحتلال بمعونة وتسهيلات إيرانية لا تنكرها إيران ولا الولايات المتحدة، يرى عمق النفوذ الإيراني المؤثر فيه الآن، حيث تجاوز نفوذ الولايات المتحدة الأميركية كثيرًا وفرض الطائفية والتصفيات الدموية وربما الحرب الأهلية في وقت مقبل. انظر تصريحات محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني حينئذ في هذا الشأن. وكذلك انظر: Trita Parsi, *Treachorous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States* (New Haven: Yale University Press, 2007).

(23) بعد اندلاع الحرب بين العراق وإيران في أيلول/سبتمبر 1980 صدر قرار مجلس الأمن رقم 479/1980 الذي دعا فيه البلدين المتحاربين إلى المبادرة بوقف إطلاق النار في ما بينهما والعودة إلى الحدود الدولية المعترف بها والدخول في مفاوضات لحل الخلافات القائمة. جاء هذا القرار بعد أسبوع واحد فقط من ردِّ العراق الواسع النطاق على العدوان الإيراني المستمر على أراضيه. وافق العراق على هذا القرار ورفضته إيران. وقال الخميني في خطاب له بهذا الصدد ما يلي: «إن هدف الحرب معاقبة قادة البعث المجرمين وإن حزب البعث تولَّى السلطة ليس عن طريق ثورة إسلامية مشروعة وإنما من خلال عمليات عسكرية غير قانونية وإن أتباع الشيعة في العراق يجب أن يلجأوا إلى الثورة كما فعل إخوانهم في إيران» انظر: روح الله الموسوي الخميني، الحكومة الإسلامية، ترجمة حامد الغار (بيركلي: [د. ن.].، 1981).

العراق وإيران غابت عن أذهان الباحثين الغربيين. ففي ورقة كتبها إيف غريغوري غاوس الثالث (F. Gregory Gause III) تحت عنوان «قرار العراق الدخول إلى الحرب 1980 - 1990» في إشارة إلى الحرب العراقية - الإيرانية موضوع هذا الكتاب، وحرب الدخول إلى الكويت في 2 آب/ أغسطس 1990، نراه يتجاهل هذا التهديد، ربما عن عمد أو عن عدم إدراك الدواعي الحقيقية لخوض العراق الحربين آنفتي الذكر. فالشعور بالتهديد الحقيقي من الثورة الإيرانية وسياساتها المعلنة وغير المخفية في تصدير الثورة إلى العالم العربي بدءًا بالعراق، كان واضحًا في أحاديث القادة الإيرانيين من أعلى مستوى، متمثلًا بالخميني مرورًا برئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر، ثم بقية مسؤولي الدولة الإيرانية الجديدة وليدة الثورة. كل أولئك المسؤولين يتنوا بوضوح لا يقبل الشك أن هدفهم المقبل هو العراق. الهدف إذاً كان الكيان وليس الرئيس صدام حسين ونظامه⁽²⁴⁾.

(24) بدأ غريغوري غاوس ورقته المشار إليها أعلاه من تحليل لخطاب ألقى الرئيس العراقي الراحل صدام حسين يوم 17 تموز/ يوليو 1997 في ذكرى 17 تموز/ يوليو التي سيطر فيها البعث على السلطة، وبعد تمثله لما جاء في الخطاب، بيّن أن معنى الانتصار في إدراك الرئيس هو بقاءه في السلطة. ويتساءل كيف أن الرئيس العراقي يدعي انتصارًا في حالة الحرب العراقية - الإيرانية على حساب الخسائر التي أحاقّت به، متجاهلاً حقيقة ما جرى في ختام هذه الحرب التي لم يكن لا الخميني ولا دوائر مهمة في الغرب تريد لها أن تنتهي. ولم تكن لنتهي إلا بانتصار عراقي بيّن. انظر: F. Gregory Gause, «Iraq's Decisions to Go to War, 1980 and 1990,» *Middle East Journal*, vol. 56, no. 1 (Winter 2002), pp. 47-48.

وعن أطروحته في شأن الحرب انظر: Stephen Van Evera, *Causes of War: Power and the Roots of Conflict*, Cornell Studies in Security Affairs (Ithaca: Cornell University Press, 1999), and Dale C. Copeland, *The Origins of Major War*, Cornell Studies in Security Affairs (Ithaca: Cornell University Press, 2000), chap. 4.

يرى هؤلاء أن تآكل قدرة الدولة قد يؤدي إلى الحرب.

وضعت الحالة المستجدة في إيران الحكومة العراقية في مأزق دبلوماسي وأمني خطير، بعد القضاء على نظام الشاه الذي نجحت الحكومة العراقية في بناء أسس علاقات مصلحة وحسن جوار معه بعد توضيحات كبيرة، منها التنازل عن نصف شط العرب من نقطة التقائه بالحدود الدولية بين العراق وإيران حتى مصبه في الخليج العربي عند رأس البيشة العراقية. ومع بداية التجاوزات والتعديت الإيرانية التي حرّض عليها رجال دين إيرانيون، لا يرون في الحياة إلا الانتقام ممن تسبب في مظلمة ومأساة الحسين بن علي في معركة وادي الطف، وهو أمر يشمل في نظرهم العراقيين جميعًا ستّهم وشيعتهم على حد سواء⁽²⁵⁾، بادرت الحكومة العراقية إلى إعداد ملف وثائقي قدمته إلى السلطات الإيرانية، توضح فيه طبيعة العلاقات التعاقدية بين العراق وإيران في شأن الحدود المشتركة ومساراتها والأراضي العراقية التي ما زالت تحت سيطرة القوات الإيرانية والتي يجب إعادتها إلى العراق وفق اتفاقية الجزائر في عام 1975، عسى أن تكون هذه الوثائق كافية لسترعي نظر المسؤولين الدبلوماسيين الإيرانيين الجدد إلى طبيعة الموقف الحدودي وتاريخه. وأودعت الخارجية العراقية نسخة من هذه الوثائق لدى الأمم المتحدة، وأصدرتها تحت عنوان «التزاع العراقي الإيراني - ملف وثائقي» أصدرته اللجنة الاستشارية في الوزارة في

(25) هنالك مثل يتندر به العراقيون هو أن الإيرانيين يقولون في أحد أمثالهم «شيعه عراق سنت أست، سنت عراق كافر أست»، أي إن شيعة العراق هم سنة بنظر الإيرانيين، وسنة العراق كفر، ولا نعلم مدى صحة هذا المثل إلا لإظهار مدى المبالغة السلبية في نظر الطرفين بعضهما إلى بعض.

كانون الثاني/يناير 1981، أي بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الحرب بين البلدين⁽²⁶⁾.

نعتقد أن ما تعرّض له العراق بعد الغزو والاحتلال الأميركيين وفتح أبوابه مشرعةً للنفوذ الإيراني يؤكد أن الاستهداف الإيراني للعراق بعد الثورة الإسلامية كان للعراق ككيان وليس لنظام الحكم ولا لشخص الرئيس، وسنمر في أثناء هذا التقديم على محطات تظهر فيها أهمية هذا العامل بشكل جلي⁽²⁷⁾. ورصد عدد من الكتاب والباحثين الإيرانيين إصرار الإمام الخميني على استهداف العراق ودول عربية أخرى كهدف لثورته (الإسلامية)، منهم تريتا بارسي (Trita Parsi) التي بينت في كتابها تحالف الغدر، أن الخميني بدلاً من السعي إلى الفوز بأصدقاء عرب، لم يفز نتيجة سياسات حكومته إلا بأعداء، وأن تحديه حالة الاستقرار الراهنة في الإقليم حول إيران إلى دولة منبوذة يخشاها الجميع ويتحاشاها⁽²⁸⁾. لذلك فإن الحرب الدفاعية التي خاضها العراق طوال ثماني سنواتٍ داميةٍ تمتلك الأساس الشرعي والأخلاقي، وتندرج تحت هدف واجب الحكومة تجاه شعبها في حماية أمنه ورفاهه. وإذا ما كان واضحاً لدينا أن إيران كانت تهدف بالفعل إلى تصدير ثورتها إلى المشرق العربي والجزيرة والخليج كجزء من مشروعها الكوني الإسلامي، فإن العراق قد هدف من حربه

(26) انظر: العراق، وزارة الخارجية، اللجنة الاستشارية، النزاع العراقي الإيراني:

ملف وثائقي (بغداد: اللجنة الاستشارية، 1981).

(27) الخميني، الحكومة الإسلامية.

Parsi, p. 97.

(28)

الدفاعية إلى إيقاف مد تصدير الثورة عند حدوده الشرقية، ومنعها من العبور بأفكارها لتغيير قناعات قطاعات من المجتمع العراقي قد تتأثر بهذه الطروحات⁽²⁹⁾. ومع ذلك فإن ردة الفعل العراقية على الأعمال الإيرانية العدوانية التي بدأت يوم الرابع من أيلول/ سبتمبر 1980 حين استخدمت إيران أرضاً عراقية محتلة في (زين القوس) لقصف أراض ومدن ومنشآت نفطية عراقية في خانقين ومندلي والنفط خانة، أخذت يوم 22 أيلول/ سبتمبر 1980 شكل العملية الاستباقية، لأنه استقر في ذهن القيادة السياسية العراقية أن الهجوم الإيراني قد أصبح وشيكاً⁽³⁰⁾.

مع ذلك فإن أحد المعارضين العراقيين السابقين من حزب الدعوة الشيعي أشار بعد انشقاقه عن الحزب وعن تسييس التمدّج

(29) ترسخت قناعات قبل الحرب العراقية - الإيرانية، وبعد اندلاعها لدى الخميني والدوائر القريبة منه، كما لدى المراقبين والباحثين الغربيين على السواء باحتمال انضمام الرأي العام (الشيعي) في العراق إلى دعاوى الثورة (الإسلامية) التي قادها الخميني وإعلانها في العراق. لا يُنكر أن دوائر قليلة من الميسسين طائفياً في العراق الذين مثلهم حزب الدعوة لجأوا إلى شيء من هذا القبيل، واتخذت الحكومة العراقية إجراءات قمعية وتصفوية شديدة بحفهم، لكن الرأي العام في الوسط العربي الشيعي في العراق لم يكن كذلك، بل قاتل الشبان الشيعة في هذه الحرب إلى جانب وطنهم، وانحازوا إليه دونما إكراه. وعدا من وقع أسيراً بيد القوات الإيرانية الغازية في ما بعد، لم يهرب إلى جانب (العدو) إلا نفر ضئيل لا يكاد يذكر.

(30) ناقش أنتوني كوردسمان وأبراهام واغنر في كتابهما دروس الحرب الحديثة (الجزء الثاني): الحرب العراقية - الإيرانية وفي القسم الثاني من هذا الجزء الأحوال التي شكلت الحرب وأجملها من وجهة نظرهما بأربعة عوامل هي: الحساسيات العربية الفارسية، والتزاع على الممرات المائية، والسعي إلى الهيمنة والنفوذ في الإقليم، والاختلافات الدينية (الطائفية): انظر: Cordesman and Wagner, vol. 2: *The Iran-Iraq War*.

الشيوعي، وهو أحمد الكاتب، إلى أنه كانت هنالك مجموعة من الثوار غير المعممين ومن المثقفين القريبين من الإمام الخميني ممن كانوا يدفعون باتجاه تمتين العلاقة بالعراق، عملاً بأن البلدين جاران وأن العراق استضاف الإمام لمدة أربعة عشر عامًا من دون تضيق، بالضد من قطاعات من رجال الدين ومن الحرس الثوري الإيراني الذي كان قيد النشوء، دفعت بقوة إلى تأزيم العلاقة بالعراق. ويبيّن أحمد الكاتب أن الذي انتصر من وجهتي النظر آنفتي الذكر هو خيار التأزيم، وبهذا دُفعت مجاميع من حزب الدعوة والمعارضين العراقيين المبعدين إلى التمرکز على حدود العراق الجنوبية الشرقية والتسلّل إلى داخل العراق والقيام بعمليات كر وفر، وقد تكون هذه العمليات هي التي أحدثت القناعة بأن العراق سيكون الهدف الأول لتصدير الثورة⁽³¹⁾.

في مناقشته عقلانية اتخاذ قرار الحرب بالنسبة إلى العراق وإيران بيّن ج. حسين راضي في دراسته: «نموذج بديل لعقلانية الدولة في السياسة الخارجية: الحرب العراقية - الإيرانية» أن اللجوء إلى الحرب الوقائية في مسعى لدرء حرب أصبح يقيناً أنها ستُشن، هو أمر مبرر، واستند إلى بسمارك الذي كان يعتقد أن الحرب الوقائية (المانعة) تشبه «القيام بالانتحار خوفاً من الموت»، إلا أن بسمارك نفسه يستمر قائلاً: «إذا ما كان العدو يعد

(31) انظر: عبد الوهاب القصاب، «النفوذ الإيراني في العراق: التحديات والأبعاد»، في: محمد حامد الأحمري [وآخرون]، العرب وإيران: مراجعة في التاريخ والسياسة، تحرير عزمي بشارة ومحجوب الزويري (بيروت؛ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 151-152.

العدة لشن الحرب، سيصبح من الحق عدم مبادرته بحرب وقائية مانعة⁽³²⁾. وعلى الرغم من أن ج. حسين راضي كان في نقاشاته اللاحقة ميثالاً إلى اعتبار أن القصف المدفعي الإيراني لمدن وبلدات ومنشآت عراقية لم يكن في حقيقته مؤشراً على عدوان إيراني لاحق واسع النطاق، إلا أننا نعود إلى الأخذ بوجهة نظره المرتكزة على جدلية بسمارك، بضرورة شنّ الحرب عند الاقتناع بأن هجوماً معادياً سيقع. وهذا ما كانت عليه قناعات القيادة العراقية، كما سنرى في ما سيأتي.

يرى أنتوني كوردسمان وأبراهام واغنر في كتابهما دروس من الحرب الحديثة: «ومما تجدر الإشارة إليه أن قيام العراق بغزو إيران لا يُعد لأول وهلة بمثابة بيّنة تشكل نيات عدوانية، أو ارتكاب إثم لاندلاع القتال. كما أن إيجاد قدرات وإمكانات طارئة لغزو إيران لا يمكن اعتباره تحت هذه الأحوال جهوداً أو احتمالات متعمدة إما لغزو إيران أو السيطرة عليها. ومن هذا المنطلق فإن مثل هذه الاستعدادات تُعد بمثابة إجراء يتسم بالحصافة. وفوق ذلك فإن استعداد العراق للغزو والتنفيذ الأولي لهجومه غالباً ما أثبت عدم ملاءمته أو استيفائه لكافة المقومات، لأنه من جانب الصديقة فإن تحوّل العراق من الرد على اشتباكات الحدود في أيلول/سبتمبر 1980 إلى التعجيل في تنفيذ خطة الغزو قد اتسم بتنفيذ خطة لم يُعد لها الإعداد والتحليل الكافي على الإطلاق»⁽³³⁾.

Razi, pp. 709-711.

(32)

(33) أنتوني هـ كوردسمان وأبراهام ر. واجنر، دروس الحرب الحديثة، ترجمة كلية القيادة والأركان، الإمارات العربية المتحدة، ص 41.

كانت هنالك جملة إجراءات يجب أن تؤخذ بالاعتبار عند التخطيط للضربة الاستباقية وتنفيذها، ومن أهم هذه الاعتبارات اختيار الأهداف وتحليل قيمتها الاستراتيجية بشكل أكثر حصافة، والتوقف عند الاندفاع البري إلى أهداف يمكن الدفاع عنها، وتأمين وحماية أجنحة القوات المندفعة، وتأمين التماس في نقاط تكون المسؤولية فيها واضحة لمن يتولّى حمايتها. وفوق كل هذا عدم تدخل أحد في إجراءات القائد الميداني المسؤول عند قيادته قطعاته، ومنع القيادات السياسية والحزبية من التدخل في الشأن العملياتي. من سليات هذه المرحلة في الحرب العراقية - الإيرانية أن الكل فيها تحوّل إلى جنرال يرسم ويخطّط ويفتي في مجريات الحرب، وكيفية خوض المعارك. ومن الملاحظ أنه ومنذ وقت مبكر بدت سمات واضحة لهذه التدخلات، بحيث أدى تراكمها إلى كارثة انهيار الدفاعات العراقية في قاطعي عمليات الفيلقين الثالث والرابع، وإجبار القوات العراقية على الانسحاب إلى الحدود الدولية التي فتحت أراضي العراق للتعرض المعادي لها وفقدان قطاعات مهمة وخطرة فيها.

بعد مرور ست سنوات على الحرب، وفي ضوء احتلال الإيرانيين الفاو في شتاء 1986، بدأت في الأركان العامة العراقية وقفة تأمل وتحليل لما جرى، وكان للضغط المعنوي المتولّد من ضياع الفاو، وللضغط الشعبي لاستعادتها، دور مهم في إعادة الحسابات، وإعادة تقويم الموقف من الحرب واستمرارها. كان الفريق الأول الركن عبد الجواد ذنون رئيساً لأركان الجيش في هذه المرحلة، وشغل الفريق الخرجي منصب معاون رئيس الأركان

للعمليات فيها، وسنرى بالضبط كيف تجاوزت هيئة الأركان العامة العراقية في ما بعد كل الإخفاقات التخطيطية والتحضيرية عند تخطيطها معارك التحرير التي وضعت حدًا للحرب العراقية - الإيرانية، والتي قادها الفريق الخزرجي في مرحلتي التخطيط والتنفيذ في ختام هذه الحرب.

كانت أهداف القيادة العراقية من شَنّ الحرب تتلخص في التالي:

- إيقاف مد تصدير الثورة الذي مثل عنفوان الثورة بعد نجاحها في إسقاط الشاه من دون أن تتدخل الولايات المتحدة الأميركية للدفاع عنه، مع ميوعة الولايات المتحدة وعدم حزمها في اتخاذ أي إجراء جدي عدا التحذير ومحاولة التفاوض لتحرير موظفي السفارة الأميركية المحتجزين في طهران، وفشل محاولتها تحريرهم بالقوة بعد اصطدام وسقوط الطائرات التي كانت تحمل قوة الاقتحام فوق الصحراء الإيرانية⁽³⁴⁾.

- إسقاط اتفاقية الجزائر التي ظلت شوكة في جنب الرئيس العراقي الذي وقّعها لأحوال مرحلية مع الشاه، وتنازل فيها عن جزء من الإقليم العراقي (نصف شطّ العرب) لإيران، وبشكل غير دستوري⁽³⁵⁾.

Melani McAlister, «A Cultural History of the War without End,» *Journal of American History*, vol. 89, no. 2 (A Special Issue): *History and September 11* (September 2002), pp. 447-449.

(35) بعد أن استهدفت القوات الجوية الإيرانية الأراضي العراقية منتصف أيلول / سبتمبر 1980، أسقط العراق طائرة فانتوم (F-4) داخل أراضيه وأعلن في 19 أيلول / =

- شدّ الجبهة الداخلية أمام التحدي الخارجي المتمثل بتهديد الثورة الإيرانية. إذ كان الجانب الإيراني يسعى بشكل محموم إلى تعبئة الرأي العام من العرب العراقيين الشيعة إلى جانبه، وهو ما فشل فيه فشلًا ذريعًا طوال فترة الحرب.

- فحص قدرات القوات المسلحة العراقية واستعدادها للقتال دفاعًا عن سيادة البلد وسلامته الإقليمية ووحدة ترابه. لم يكن هذا الهدف هدفًا رئيسًا لدى القيادة العراقية، لكن يقين هذه القيادة من مواجهة عربية إسرائيلية مقبلة جعل من ضمان الأداء المتفوق للقوات هدفًا تسعى إليه، لضمان الانتصار على الجيش الصهيوني. ومن هنا رأت أن اندلاع الحرب سيعطي بلا شك مؤشرات إلى عوامل الإنجاز والإخفاق في أداء هذه القوات. فالإخفاق في تنفيذ المهمات الجوية كان واضحًا، على الرغم من نجاح عملية الضرب الأولى، والإنجاز في معارك الدرع كان واضحًا كذلك كما في معارك الخفاجية والبستين في عام 1981.

- استعادة أراض عراقية اعترفت اتفاقية 1975 بعائدتها إلى العراق، وتلكؤ نظام الشاه في إعادتها نظرًا إلى الظرف الداخلي الذي كان يمر به النظام آنذاك. وهناك منطقتان حيويتان حول مدينتي مهران وقصر شيرين تؤمّن إعادتهما إلى العراق دفاعات عراقية أفضل على الحدود بين البلدين. علمًا بأن إيران استخدمت

= سبتمبر 1980 انسحابه من هذه الاتفاقية وعدم التزامها، إلا أنه عاد وأعلن الأخذ بها بعد تطبيع العلاقات بين البلدين عشية عملية إخراج العراق من الكويت. انظر الصحافة العراقية في 19 و20 أيلول/سبتمبر 1980.

هذه المناطق بالذات لقصف مدينتي خانقين ومندلي وحقول نفط «النفط خانة» بالمدفعية، خلال فترة توتر العلاقات العراقية - الإيرانية الذي أدى في ما بعد إلى اندلاع الحرب.

- اغتنام فرصة الفوضى التي كانت تعانيها إيران بعد الثورة وتوجيه ضربة قاصمة إلى القوات المسلحة الإيرانية بشكل ينهي تهديدها العراق.

- تحرير إقليم عربستان (خوزستان) المأهول بالعرب والغني بالنفط، مع أن هذا لم يكن هدفاً معلناً من أهداف الحرب، لكنه كان ينسجم مع النهج القومي العربي الذي اتسم به نظام الحكم في العراق.

- إضعاف نظام حكم الملالي في إيران وتمهيد الأوضاع لنظام حكم ذي صفة علمانية يمكن العراق التفاهم معه، ويبعد التأثير السلبي لنظام الخميني عن شيعة العراق والخليج العربي. أذكر في هذا الصدد أن نظام حكم البعث احتضن قبلاً الجنرال تيمور بختیار أول رئيس لجهاز الأمن والاستخبارات الإيرانية (السافاك) الذي أقصاه الشاه عنه في عام 1961 والتجأ إلى العراق. وخطط العراق للاستفادة من وجوده بهدف التعجيل بتنفيذ انقلاب للسيطرة على السلطة في إيران. ومن المعلوم أن الجنرال بختیار اغتيل على يد مرافقه الذي دسّته أجهزة الاستخبارات الإيرانية (السافاك) في عام 1970.

- الظهور كقوة إقليمية متفوّقة تجبر العالم على التعامل مع العراق على هذا الأساس.

ثالثاً: الأهداف الإيرانية من الحرب

إذا كان العراق قد استهدف إيران بضربة استباقية (لا تعني بالمقاييس العسكرية أنه هو الذي بدأها) فإن إيران على الرغم من الوضع السيئ الذي كانت تعيشه قواتها المسلحة النظامية بعد نحو سنتين على اندلاع الثورة (الإسلامية) ونجاحها، استهدفت العراق بالفعل كما هو مسجل لدى الأمم المتحدة، وكما أشارت إليه البلاغات والبيانات التي أعلن عنها الطرفان منذ يوم 4 أيلول/ سبتمبر عندما قصف الإيرانيون أهدافاً عراقية في القاطع الأوسط (خانقين ومندلي)، وصعدوا حتى استخدموا الطيران لقصف أهداف داخل العراق في منتصف الشهر نفسه، حتى أتى الرد العراقي الواسع النطاق في الثاني والعشرين من أيلول/ سبتمبر⁽³⁶⁾. فهل كانت هنالك أهداف حقيقية تدفع إيران إلى غزو العراق واحتلاله، وتصدير ثورتها الإسلامية إليه عبر تثير الرأي العام الشيعي في العراق ضد حكومته الوطنية، بغية إسقاطها وتولي أنصار ولاية الفقيه السلطة في العراق تبعاً لذلك؟

واجهت إيران عند انتصار الثورة حالاً من الفوضى وانفلات النظام، مضافاً إليها التحريض الذي مارسه رجال الدين ضد مؤسسة القوات المسلحة النظامية، باعتبارها من المؤسسات التي كانت تدين بالولاء لنظام الشاه، لذلك تمت تصفية هذه المؤسسة، ودعوة أفرادها إلى الفرار منها حتى قبل انتصار الثورة. ولعل من أهم ما يُذكر هنا الفتوى التي أصدرها الخميني في السابع عشر

(36) كوردسمان وواجنر، ص 44.

من كانون الثاني/يناير 1979 عشية انتصار الثورة، حين دعا الجنود وصغار الضباط إلى الفرار والانضمام إلى الثورة. وبعد انتصار الثورة بُدئ بمطاردة الجنرالات وكبار الضباط وإعدامهم، وكانت جثث المعدومين تعرض على شاشات التلفاز، ويقال إن عدد الجنرالات وكبار الضباط الذين تم إعدامهم بلغ 550 ضابطاً، أُعدم أغلبهم في نهاية آذار/مارس 1979 بعد انتصار الثورة مباشرة⁽³⁷⁾.

واجهت الثورة منذ أوائل انطلاقها مشكلتين مثلتا تحدياً حقيقياً لها ولوعودها في تحسين طبيعة الحياة في المجتمع الإيراني المتنوع، إذ اندلعت في كل من كردستان الإيرانية حركة ثورية مطالبة بالحكم الذاتي وداعية قادة الثورة إلى إنجاز وعودهم للشعب، قوبلت بالقمع الشديد على يد الحرس الثوري والقوات النظامية. وفي الوقت نفسه تقريباً شهد ربيع 1980 تصاعد ثورة إقليم (الأحواز) عربستان الداعية إلى تحقيق وعود الثورة بمنح السكان العرب حقوقهم القومية والثقافية، وقُمت بشدة. وقام الأدميرال مدني، محافظ الأحواز، باستخدام أقصى درجات العنف ضد المتظاهرين والمُضربين، حتى لجأ الألوف منهم إلى الحدود العراقية في المكان نفسه الذي سيصبح في ما بعد ساحة للحرب العراقية - الإيرانية. ومن المهم بيان أن حركة اللجوء هذه والاحتجاجات التي سبقتها أعطتا القيادة العراقية تصوراً بأن سكان الأحواز العرب سينضمون إلى القوات العراقية باعتبارها قوات

(37) المصدر نفسه، ص 44.

تحرير، وهذا ما لم يحصل إلا في نطاق ضيق جدًا ولفترة محدودة، إذ لم يكن هذا التصور إلا تصورًا زائفًا.

شهدت هذه الفترة عمليات تطهير إضافية في القوات النظامية التي جرى تفكيكها تقريبًا بشكل عملي. وعلى الرغم من المسعى والرغبة والإرادة المتوافرة أساسًا بالتدخل عسكريًا في الشأن العراقي، كان لعملية الإضعاف المتعمد وتصفية القادة أثر في جعل القيادة الإيرانية الجديدة تدرك بالفعل الصعوبات التي ستواجهها لو شنت حربًا واسعة النطاق على العراق، كما أن صعوبات جديدة نشأت بسبب احتلال الطلبة الثوريين السفارة الأميركية في طهران، وتفاقم الموقف حيال الولايات المتحدة، وموقف الأخيرة من النظام الجديد في طهران، مع أنها ساهمت في انتصاره، بتدخلها لمنع القوات المسلحة من قمع الثورة. تشير الدراسات إلى أن التراجع في مستويات القوات المسلحة الإيرانية بسبب توقف التدريب والتمارين القتالية عطل ما نسبته 3 في المئة من معدات القوات البرية، و50 - 60 في المئة من الطائرات، و60 في المئة من الطائرات السمتية (الهليكوبتر)، وأدى إلى تصفية وطرده 25 - 30 في المئة من الضباط متوسطي الرتب، وإلى ترك الآلاف من صغار الضباط الخدمة النظامية بحسب إحصاءات نهاية شباط/فبراير 1980⁽³⁸⁾.

تمخض عن هذا الموقف بروز دعوة وجدت لها صدى لدى القيادة الدينية، بأن تتولى الجماهير المؤمنة حماية ثورتها. من هنا

(38) كوردسمان وواجتر، ص 45.

تم تشكيل الحرس الثوري، وشكّل هذا التطور انتقال الرأي إلى مجموعة من رجال الدين المعممين بدلاً من هيئة الأركان العامة التي لم يعد لها وجود عملياً، على الرغم من تعيين قائد للجيش عند تسنّم رئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر مهماته⁽³⁹⁾.

هكذا دخلت إيران الحرب، ولو بمناوشات حدودية، من دون أن تكون جاهزة من الناحية القتالية الفعلية لخوض حرب نظامية حديثة مع جارٍ يتوافر له تسليح جيد بالمستويات الإقليمية وخبرة قتالية ليست قليلة. وإذا كانت لغة التحريض والتهديد الإيرانية قد تركت لدى القيادة العراقية المقابلة إيحاءً وقناعة بأن غزوًا إيرانيًا لتصدير الثورة أضحى وشيكًا، فإن اللغة نفسها مضافاً إليها تحريضات المنشقين العراقيين الهاربين إلى إيران والمبعدين إليها أعطت القيادة الإيرانية انطباعاً خاطئاً أيضاً، هو أن ثورة شعبية شيعية ستنتقل في العراق فور مناداة الخميني بذلك، وهو ما لم يحصل.

بهذا ساهمت رسالتان خاطئتان وزائفتان التقطتهما قيادتا البلدين في نشوب وضع خطر ساقهما إلى الدخول في نزاع تحوّل صراعٍ مصيرٍ لم تضع له حدّاً إلا خمس مناورات قتالية نفّذتها القوات المسلحة العراقية اعتباراً من نيسان/أبريل حتى الثامن من آب/أغسطس 1988، بعد أن حصد طوال ثمانية أعوام آلاف الشبان من الجانبين.

(39) المصدر نفسه، ص 45.

الفصل الثاني

خلفيات النزاع

الصراع العراقي - الإيراني ليس جديدًا، بل هو صراع موروث من حقبة سابقة، في أوجه متعددة منه. وقد يكون من تبسيط الأمور إسناد هذا الصراع إلى عوامل معيّنة بعينها، كأن نصّف الصراع بأنه عربي - فارسي، استنادًا إلى صراع سابق في صدر الإسلام تسبب في انهيار الإمبراطورية الساسانية التي كانت ثانية أعظم إمبراطوريتين في العالم القديم آنذاك، كما أن من تبسيط الأمور إحالة الصراع على خلاف مذهبي سُني - شيعي، لأن هذا الخلاف كان موجودًا طوال عمر التاريخ الإسلامي، وفي العراق بالذات في وقت لم تكن فيه إيران شيعية الهوية. لذلك لا بد عند البحث في أساسيات هذا الخلاف وأسباب استمراره من استنباط مقاربات معرفية أكثر عمقًا وشمولًا. وفي هذا المجال فإن كثيرًا من البحوث والكتابات العلمية ضلّ سبيله وافتقد العمق المعرفي لأنه ركن إلى الأسباب والظواهر الظاهرة فحسب، الطافية على السطح في معالجته المعضلات التي يدرسها وينقّب فيها. ويكتسب موقف كهذا أهمية عندما تكون الخلافات ضاربة في عمق التاريخ ومتعددة الطبقات، إذ سيكون لكل المجالات المعرفية دورٌ في إيضاح وإمالة اللثام عن الدواعي الحقيقية التي جعلت من خلاف كهذا عميقًا ومؤثرًا بالشكل الذي رأيناه.

لا يصحُّ ما ورد آنفاً على الصراع العراقي - الإيراني في حقبة الحالية فحسب، بل إن هنالك مظاهر صراعية بين إثنيات وشعوب وأقوام ودول في أماكن أخرى من العالم، تشترك من حيث مضمونها مع الصراع العراقي - الإيراني الراهن بأبعادها التاريخية والمكانية والاجتماعية. خذ مثلاً على ذلك النزاع الألماني الفرنسي أو البريطاني الفرنسي في الغرب، والصراع الصيني الياباني، والكوري الياباني في الشرق. وهي كلها صراعات لم تكن لمجرد خلافات حدودية معينة، أو انتهاكات سببها غزوٌ من هذا الطرف أو ذاك، بل إنها في واقع حالها خلافات صراعية سببتها عوامل متفاعلة من كل عناصر التفاعل الإنساني بين الشعوب. ومن هذا المنطلق نحاول في الصفحات التالية دراسة وتلمس الاعتبارات المهمة التي تؤثر في هذا النزاع وتجعله ممتد الأثر عبر الأزمان، يخبو تارةً ويلتهب أخرى.

أولاً: الاعتبارات الجيوبوليتيكية

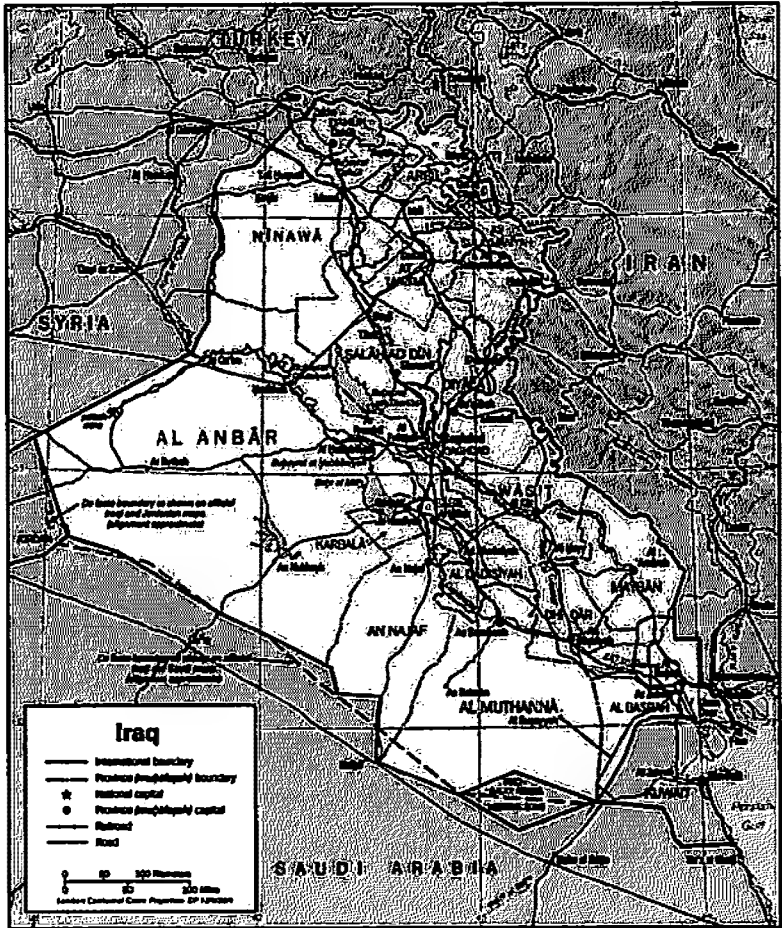
كانت الاعتبارات الجيوبوليتيكية على الدوام حاکمة في قضية الحدود العراقية - الإيرانية، ومن قبلها بين الدولة العثمانية وفارس. وورث العراق حقيقةً تداعيات هذه الحدود التي تمتد إلى ما يقرب من 1250 كلم، وتشهد تداخلات إثنية وطوبوغرافية بين طرفيها، الأمر الذي يجعلها حدود احتكاك ونزاعات أكثر منها حدود حسن جوار وسلام.

تُقسم الحدود العراقية - الإيرانية من هذه الناحية إلى ثلاثة قواطع يتميز كلٌّ منها بسمات محددة؛ فالقاطع الأول هو القاطع

الجبلي، ويبدأ من المثلث الحدودي العراقي الإيراني التركي في أقصى الشمال الشرقي نزولاً إلى (سلسلة جبال آق طاغ) قرب خانقين. يتميز هذا القاطع بكونه جبلياً وعراً تنعدم فيه الطرق الصالحة لحركة الآليات الثقيلة، إلا في طريقين رئيسيتين، تقع إحداهما في أقصى الشمال الشرقي وهي طريق أربيل - راوندوز - حاج عمران - رايات وإلى أشنوية في داخل إيران، وهي الطريق التي سلكتها الجيوش القيصرية الغازية في الحرب العالمية الأولى عند استهدافها الموصل وتوقفت عند راوندوز. والطريق الثانية هي طريق بغداد - بعقوبة - خانقين - قصر شيرين - سري بول زهاب - باي طاق - كرمنشاه - همدان - كرج - طهران. وهي الطريق الدولية التي تربط عاصمتي البلدين، وتتميز بأنها تُفتح على سهل وادي الرافدين بعد اجتيازها الحدود، ولا حاجزاً طبيعياً أمامها، إلا سلسلة تلال حميرن التي تقطعها باتجاه جنوبي شرقي - شمالي شرقي عند السعدية وعلى بُعد نحو 120 كلم من بغداد، وهناك طريق أخرى تتجاوز هذه الطريق وتطوّق بغداد من جناحها الجنوبي، وتخلو من الموانع الطبيعية بعد دخولها الأراضي العراقية، وهي طريق عيلام - مهران - بدره - بسماية - بغداد. يُعد مرور خطّ الحدود من خط القمم على طول سلسلة جبال هورمان ذا تأثير استراتيجي متساوٍ للبلدين. ومنطقة الحدود هي منطقة كردية إثنية، وكانت تعاني طوال حقبة الحروب العثمانية الفارسية تدخلات إيرانية وادعاءات بقاطع سوران (شهرزور) العراقي الذي مركزه مدينة السليمانية.

الخريطة (2 - 1)

خريطة العراق الطبيعية ويبدو فيها القاطع الشمالي الجبلي الذي يتساوى فيه تأثير الحدود في الجانبيين والقاطع الأوسط الخطر على بغداد، والقاطع الجنوبي شديد الخطورة من الناحية الاستراتيجية



يبدأ القاطع الأوسط، الثاني، من خانقين ويسير بشكل مقعر على العراق باتجاه الجنوب الغربي، ثم ينعطف باتجاه الجنوب الشرقي حتى الفكة شرق العمارة، فهو مقعر لمصلحة إيران، ويقرب إيران من بغداد بشكل خطير، بحيث تكون المسافة بين الحدود الدولية وبغداد على الطريق العام ليست أكثر من 150 كلم، تقطعها العجلات الحربية الحديثة في سويغات قليلة بحيث تصبح العاصمة العراقية مهددة من هذا الاتجاه لوجود كثير من الطرق السالكة التي تقرب الحدود الإيرانية من بغداد، ومنها، فضلاً عن طريق بغداد - بعقوبة - المقدادية - السعدية - خانقين - المنذرية - خسروي (الحدود الإيرانية) - قصر شيرين - باي طاق - كرمشاه الذي يُعد الطريق الدولية الرئيسة التي تربط العراق بإيران، وتُعتبر طريق الترانزيت التي كانت تسلكها التجارة الإيرانية العابرة التي كانت تسلك طريق موانئ البحر المتوسط إلى إيران عبر كل من سورية ولبنان والعراق. تساعد مجموعة المرتفعات وسلاسل التلال التي تحفل بها هذه الطريق في جانبها الشرقي في الدفاع حيال عدو متقدم من الجانب الإيراني، وهي سلاسل آق طاغ التي تشكل خط الحدود، ودراوشكة غرب خانقين، وحميرن التي تشكل آخر مانع جدي لدحر القوات الغازية من الشرق.

لخطورة هذه الطريق، كان من أهم خيارات استراتيجيا العمليات عند وضعها خطط الهجوم الاستباقي الذي نفذته القوات العراقية يوم الثاني والعشرين من أيلول/سبتمبر 1980 الاندفاع عبر قصر شيرين والوصول إلى سربيل زهاب/باي طاق، وتم ذلك بنجاح. وبعد تنفيذها تعرضها النهائي في عام 1988 قامت بالأمر

نفسه أي الاندفاع عبر حوض قصر شیرين والوصول إلى باي طاق لإجهاض أي تعرّض معادٍ من هذا الاتجاه.

شهد هذا القاطع الحدودي بامتداده المقعر الواقع بين حلبجة ومهران⁽¹⁾ كثيرًا من المعارك الحاسمة في القاطع المحصور بين قصر شیرين ومهران، وأودت هذه المعارك بأرواح كثيرين، لسبب رئيس هو إجهاض أي إحاطة تستهدف الالتفاف على الطريق الرئيسة بغداد - خانقين - قصر شیرين - باي طاق. لهذا السبب تم تنفيذ اندفاعات عملياتية استهدفت مدن سومار مقابل مندلي وكيلان غرب، في قاطع مندلي ومهران نفسه مقابل بكرة العراقية.

أما الطرق الأخرى التي يحويها هذا الاتجاه فهي:

- طريق بغداد - بعقوبة - بلدروز - مندلي - سومار.

- طريق بغداد - بسماية - بكرة - مهران عيلام.

وهما طريقان تتجاوزان العوارض الدفاعية التي تقطع الطريق الدولية المشار إليها، وتُسهّلان الإحاطة المعادية للجانب المتقدم من الشرق، وتقربانه من بغداد لتُسهّلان له دخولها من الجنوب والشرق.

هنا أيضًا لاحظنا أن مهران كانت هدفًا للتعرضات العراقية كلها منذ بدء العمليات حتى ختامها، لأهمية وخطورة القاطع الذي تسيطر عليه ووعورته من الجانب الإيراني، الأمر الذي يُعطيهِ مزية استراتيجية على الجانب العراقي الذي تفتح الأراضي فيه، وتنساب

(1) انظر الخريطة (2 - 2)، ص 62 من هذا الكتاب.

باتجاه بغداد عبر أراضٍ مفتوحة يصعب الدفاع عنها. والملاحظ أن المرتفعات المشرقة على مهران هي مرتفعات اعترفت اتفاقية 1975 بعائديتها إلى العراق وتلكأت إيران أيضًا في إعادتها أيام الشاه، ورفض المعممون الحاكمون ذلك أيضًا حينما فاتحتهم فيها الخارجية العراقية بالطرق الدبلوماسية.

يشكّل قطاع الحدود من الجانب الإيراني مناطق جبلية وعرة مؤلفة من سلسلة جبال بشتكوه، حيث تمر الحدود من سفوحها الغربية تاركة خطّ القمم لإيران، الأمر الذي يشكّل وهنًا بيّنًا في غير مصلحة العراق (انظر الخريطة (2 - 2) التي تبين قُرب خط الحدود الدولي من بغداد).

كان خط الحدود المنطقي منذ القدم هو مدخل مضيق باي طاق في سربيل زهاب الذي كان يتيح للعراق السيطرة على مخرج المضيق الذي يقود إلى الداخل الإيراني؛ كرمشاه وما وراءها، هنالك دافع العباسيون في المرحلة الأخيرة من دولتهم أيام الناصر لدين الله، عندما أعاد سطوة الخلافة على كامل الأراضي العراقية التي يحكمها حكمًا مباشرًا⁽²⁾. وهنالك أنشأ العثمانيون مواقعًا لحامياتهم أيام صراعهم مع الصفويين، لكنهم تنازلوا عنها للإيرانيين باعتبار أن الدولة العثمانية اعترفت بعائدية أردلان (وباي طاق منها) إلى إيران، مقابل تنازل إيران عن أي ادعاءات في

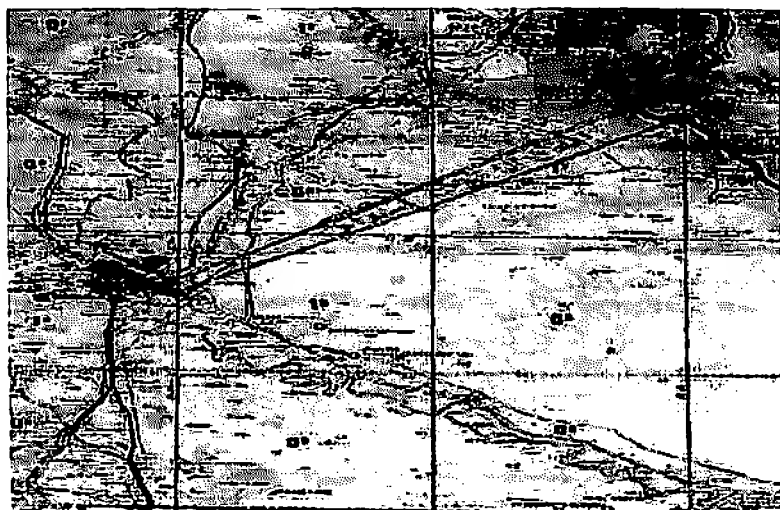
(2) للاطلاع على جهد الناصر لدين الله العباسي (1190م-1237م). انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء (بيروت: دار الكتاب العربي، 2006)، ص 343-350.

شهرزور (السليمانية) وسوران. ومع ذلك احتلت القوات العثمانية هذه المنطقة لتؤمن جناح قواتها حيال تسلل روسي محتمل عبر إيران، وهو ما تم بالفعل. وجرى قتال شرس بين الطرفين حتى اندلاع الثورة البلشفية التي ربما لولاها لتقاسم الروس والبريطانيون العراق.

الخريطة (2 - 2)

القطاع الحدودي الأقرب إلى بغداد:

قاطع مندلي - النفط خانة - بغداد



تمثل الخريطة (2 - 2) القطاع الحدودي في القاطع الأوسط مقابل بغداد، حيث تكون أقرب مسافة شعاعية من بغداد نحو 80 كلم. والقاطع الجنوبي، هو الأخطر، إذ بعد أن يدخل هور الحويزة يتعامد على شط العرب في منطقة الشلامجة - قناة الخيين. وفي ما

عدا القاطع بين الفكة شرق مدينة العمارة مرورًا بهور الحويزة كشك البصري شرق البصرة ونقطة الدخول في شط العرب الذي يكون أثره متساويًا للطرفين، فإن الحدود في شط العرب كانت على الدوام مشكلة المشكلات بين البلدين، والاعتبارات الرئيسة لها هي اعتبارات جيوبوليتيكية.

كانت جزيرة الخضر (عبادان) كلها المحصورة بين شط العرب من الغرب وترعة بهمنشير من الشرق، والخليج العربي من الجنوب والكارون من الشمال، جزيرة عثمانية أكدتها اتفاقية الحدود الأولى التي تُعرف بمعاهدة زهاب المعقودة في 17 أيار/ مايو 1639 في زمن السلطان مراد الرابع⁽³⁾. ثم بدأ التراجع باتجاه شط العرب حتى أجبرت الأحوال العراق على التنازل عن نصف ملكيته المعترف بها من الشط في اتفاقية 1975. وكانت اتفاقيات عدة قد عُقدت بين اتفاقيتي 1639 و1975، مثل اتفاقيات 1847 و1913 و1937، وشهدت كلها تنازلات لمصلحة إيران. وتفاوتت آراء كثيرين من الباحثين الذين تناولوا هذا النزاع منذ اندلاعه عام 1980 حتى الآن، في تحميل الإرث التاريخي والاحتكاك العربي الفارسي مسؤولية اندلاع هذا النزاع⁽⁴⁾. وعلى

Will D. Swearingen, «Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War,» (3) *Geographical Review*, vol. 78, no. 4 (October 1988), pp. 405-412.

(4) انظر على سبيل المثال في هذا المجال: بيانات القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية وخطابات القيادة العراقية التي كانت تعطي البعد التاريخي الإنشائي دورًا مهمًا في النزاع العراقي - الإيراني؛ Phebe Marr, *The Modern History of Iraq* (Boulder, Colo.: Westview; London: Longman, 1985), and Jasim Mohammad Abdulghani, *Iraq and Iran: The Years of Crisis* (London: Croom Helm, 1984).

الرغم مما في هذا الطرح من منطق، فإنه ليس السبب الحقيقي للنزاع، بدليل أن البلدين تعايشا فترات طويلة دونما مشكلات بينهما، واستطاعا أن يجدا وسيلة للتعايش السلمي وحسن الجوار في كل مرة توَصَّلا إلى تفاهم على المطالب السيادية والإقليمية والحدودية بينهما. الجيوبوليتيكا إذا سبب رئيس من أسباب النزاع الذي أضحى لا يقتصر على خط الحدود بين البلدين، بل امتد ليشمل دور وموقع كلٍّ من البلدين جيواستراتيجيًا في الخليج العربي، بعد أن تحوَّل البلدان قطبين من أقطاب مثلث القوة الخليجي، أو مربع القوة إذا اعتبرنا الوجود الأميركي فيه وجودًا مستمرًا في المستقبل المنظور.

عند مراجعة خطة التعرض الاستباقي العراقي في 22 أيلول/ سبتمبر 1980 سنجد أن محاور الطرق هذه كانت الأهداف الأساسية لخطة التعرض هذه، وكانت تهدف إلى منع الإيرانيين من استخدامها في هجوم توصلت قناعة القيادة العراقية إلى أن إيران ستسلكها عند تنفيذه.

يتوقف بعض الباحثين الغربيين في دراسته وتحليله الأسباب الداعية إلى الحرب، أي التي قادت إليها عند حقيقة دأب العراقيون (ومعهم مناصروهم من العرب) في تبيانها وهي أن إيران كانت دائمًا ذات أهداف توسعية باتجاه العراق، وعلى مدى التاريخ، لكن الملاحظ أن الغربيين لا يوردون هذه القناعة كما يعرضها العراقيون، بل من خلال دراسة التراتبية القيادية

والعقيدة العسكرية وراء بناء القوات المسلحة لكل من البلدين. ففيما يؤكد إفرام كارش، المحاضر في الأمن الإقليمي في قسم دراسات الحرب في كنفز كوليدج - جامعة لندن، في دراسته: «القدرة العسكرية وأهداف السياسة الخارجية: الحرب العراقية - الإيرانية بنظرة جديدة» أن بناء القوات المسلحة العراقية كان بناء دفاعيًا تحسبًا حيال تهديد محتمل مصدره إيران، وأن الوهن الجيوبوليتيكي الذي يعانيه العراق كان على الدوام مانعًا من توفيره بحرية قتالية قادرة على الحسم في مسرح عمليات الخليج العربي البحري، يرى الكاتب نفسه أن بناء القدرة الإيرانية العسكرية في أيام الشاه جعل لها قدرات وإمكانات تعرضية في البر والبحر والجو⁽⁵⁾. وهذا يؤكد أن الخشية العراقية من هجوم إيراني وشيك، بناءً على القناعات المترسخة بأهداف إيرانية متجددة في العراق بعد التغيير الذي أتى بالإسلاميين إلى السلطة، كانت أحد أهم أهداف شنّ الحرب الاستباقية العراقية، ردًا على العدوان الإيراني الذي ابتدأ بقصف إيران المدن والبلدات والمنشآت الاستراتيجية في 4 أيلول/سبتمبر 1980⁽⁶⁾.

(5) انظر: طلال عتريسي، «العرب وإيران: مصالح مشتركة وعلاقات غير مستقرة»، في: محمد حامد الأحمرى [وآخرون]، العرب وإيران: مراجعة في التاريخ والسياسة، تحرير عزمي بشارة ومحبوب الزويدي (بيروت؛ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 103-104، وEfraim Karsh، «Military Power and Foreign Policy Goals: The Iran-Iraq War Revisited»، *International Affairs*, vol. 64, no. 1 (Winter 1987-1988).

F. Gregory Gause، «Iraq's Decisions to Go to War, 1980 and 1990»، *Middle East Journal*, vol. 56, no. 1 (Winter 2002), p. 49.

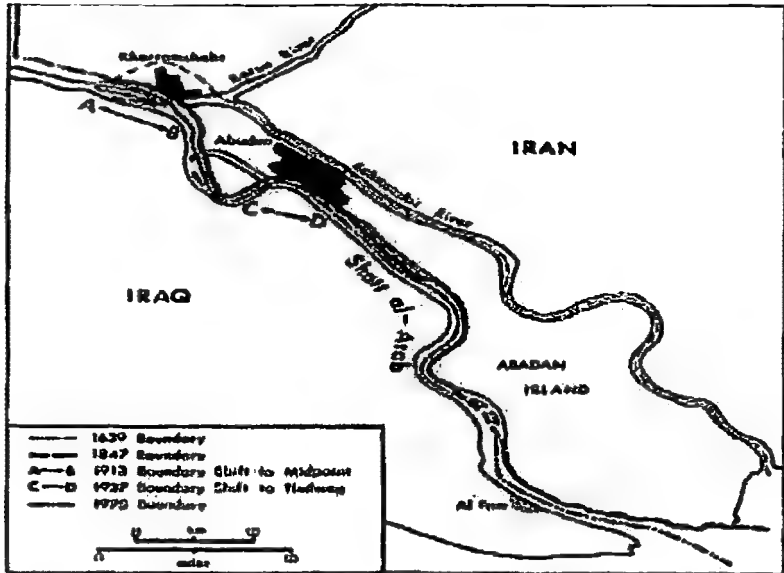
يطرح إفرام كارش نظرية الحتم الجيوبوليتيكي باعتبارها أساس النزاع العراقي - الإيراني⁽⁷⁾. ويحمل هذا الطرح في واقع الحال الكثير من الصدقية، فالذي يبحث عن الأسباب سيجد أن وضع العراق الجيوبوليتيكي لا يتناسب مع اتساعه الجغرافي والسكاني. لدينا بلد مساحته تقارب النصف مليون كلم²، وسكانه يناهزون الثلاثين مليوناً أو يزيد، وإمكاناته تجعله بلدًا واعدًا، إلا أنه بلد شبه مغلق جغرافيًا، بلد يشبه فيلاً يقف مقلوبًا على خرطوم (شط العرب) تشاركه إيران في منفذ تنفسه الشرقي، والكويت في منفذ تنفسه الغربي. موقع جيوبوليتيكي يحمل كل أوزار الجغرافيا التي تفرض على بلد، كما هو ممر دانزيغ لألمانيا قبل أن تُسلب منها بروسيا الشرقية.

وَجُرح العراق في كرامته عندما انحنى للابتزاز الإيراني ووافق على التنازل عن نصف شط العرب وفق اتفاقية 1975 المعقودة بين البلدين، وعلى الرغم من الفترة المحدودة التي شهدت تحسنًا نوعيًا في العلاقات بعد عقد هذه الاتفاقية، أدى إعلان النظام الجديد في إيران عدم اعترافه لفظيًا بها، وتردي العلاقات على نحو متسارع إلى أن يطلّ الحتم الجيوبوليتيكي برأسه مرة أخرى.

Efraim Karsh, «Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq (7) War,» *Middle East Journal*, vol. 44, no. 2 (Spring 1990), pp. 256-268.

الخريطة (2 - 3)

انزياح خط الحدود في شط العرب لغير مصلحة العراق عبر الفترة
التعاهدية منذ اتفاقية 1639 حتى عام 1975



المصدر: نقلاً عن: Will D. Swearingen, «Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War,» *Geographical Review*, vol. 78, no. 4 (October 1988), p. 410.

ثانياً: انعدام الثقة بين الطرفين

لم تُفاجأ القيادة السياسية ولا العسكرية بالنيات الإيرانية، إذ كانت قد اتخذت سلسلة من الإجراءات المتتالية على صعيد التخطيط وتفحص ساحة العمليات منذ اللحظة التي تولّت فيها القيادة الإيرانية الجديدة السلطة، ووضوح نياتها حيال العراق من البرقية المشهورة الموجهة من الخميني إلى المرحوم محمد باقر الصدر التي يطلب إليه فيها التهيؤ لقيادة الثورة الإسلامية في

العراق⁽⁸⁾. ومن الرد غير اللائق على رسالة التهنئة التي أرسلها الرئيس أحمد حسن البكر إلى القيادة الإيرانية للتهنئة بالثورة.

يرى بعض الكتاب الغربيين الذين تناولوا الحرب العراقية الإيرانية بالدراسة المعمقة، أن ما ترسب لدى القيادة العراقية من تحسب من سوء العلاقة في المستقبل بحكام إيران الجدد، قد ساهم في بناء أجواء انعدام الثقة بالنظام الجديد في إيران، على الرغم من أن القيادة العراقية أبدت رغبتها في بناء علاقات جيدة بـ «الأشقاء الإيرانيين» بعد انسحاب إيران من معاهدة حلف الستو (بغداد سابقاً)، وعرضت مساعيها الحميدة للمساعدة في منح إيران عضوية منظمة عدم الانحياز لو رغبت في ذلك. وجاء هذا العرض برسالة دعوة إلى زيارة العراق موجهة إلى رئيس الوزراء الإيراني الجديد بعد الثورة مهدي بازرگان، وكذلك ما قيل عن إرسال الرئيس البكر رسالة إلى الخميني يقترح فيها زيارة إيران والرد الإيراني الجاف وغير الدبلوماسي عليها. وأشار ج. حسين

(8) أسهمت هذه البرقية في تسميم أجواء العلاقات بين البلدين، وكانت سبباً في محاكمة الراحل الصدر وتنفيذ حكم الإعدام به لتهديده سلامة نظام الحكم وللتأمر. وقد اتخذت البرقية المذكورة مستمسكاً جرمياً في الدعوى. في الواقع كان يدور في الكواليس وسامعاً من مسؤولين أمنيين كثيرين أن السلطة حاولت كثيراً مع الراحل الصدر لثنيه عن الاصطفاف إلى جانب الخميني، خصوصاً أنه الأعلام، فضلاً عن كونه عراقياً عربياً وليس ذا أصول إيرانية وهو ما كانت تفضله الحكومة العراقية من تشجيع للمرجعيات العربية. قد لا يقبل البعض هذه الحقيقة نتيجة التشويش الذي «شيعن» الحكومات العراقية التي سبقت الاحتلال في موقفها من الشيعة العراقيين، لكن هذه هي الحقيقة وليس أدل على ذلك من تشجيع الحكومة العراقية مرجعية الصدر الثاني المرحوم محمد محمد صادق الصدر (شقيق محمد باقر الصدر الراحل) الذي اغتيل في ما بعد، وحقت الحكومة في الموضوع وأعلنت الجهة المسؤولة عن اغتياله.

راضي في دراسته: «نموذج بديل لعقلانية الدولة في السياسة الخارجية: الحرب العراقية - الإيرانية» إلى دور قام به مع آخرين للرد بالإيجاب على عرض الرئيس أحمد حسن البكر زيارة إيران، وكيف نجحوا في إقناع الخميني الموجود في حينه في قم بكتابة رد إيجابي إلا أنه فوجئ بعد عودته إلى طهران بأن ردًا جافًا وخشيًا وغير دبلوماسي أرسل ردًا على بركة البكر⁽⁹⁾. كذلك في أثناء لقاء جرى بين النائب صدام حسين ووزير الخارجية الإيراني إبراهيم يزدي⁽¹⁰⁾ على هامش اجتماعات قمة عدم الانحياز، إلا أن النيات السيئة لدى بعض الدوائر المهيمنة على القرار الإيراني، وهواجس عدم الثقة من الجانب العراقي أحبطت هذا المسعى⁽¹¹⁾.

(9) للتفاصيل، انظر: G. Hossein Razi, «An Alternative Paradigm to State Rationality in Foreign Policy: The Iran-Iraq War», *Western Political Quarterly*, vol. 41, no. 4 (December 1988), p. 706.

(10) الدكتور إبراهيم يزدي (ولد عام 1931) وزير الخارجية الإيراني الأسبق في الحكومة الإيرانية الموقفة التي تشكلت بعد سيطرة تحالف رجال الدين والحركة الليبرالية اليسارية الإيرانية على السلطة بعد سقوط الشاه. استقال من منصبه احتجاجًا على اقتحام السفارة الأميركية في طهران. التقى الرئيس العراقي الراحل صدام حسين على هامش مؤتمر قمة عدم الانحياز الذي عُقد في هافانا في أيلول/ سبتمبر 1979 في محاولة لوضع أسس لعلاقة حسن الجوار بين البلدين. اعتُقل يزدي الذي يشغل منصب أمين عام حركة تحرير إيران المعارضة لنظام حكم ولاية الفقيه بعد احتجاجات 2009 على انتخابات الرئاسة التي جاءت بأحمدي نجاد رئيسًا لدورة رئاسية ثانية، وأعيد اعتقاله بعد إطلاق سراحه أكثر من مرة وحكم عليه آخر مرة بالسجن ثماني سنوات.

(11) بين كل من المقدمين كارلا توريز وفنسنت زيلينسكي في دراسة مُقدّمة إلى كلية الدفاع الوطني الأميركية، أن القيادة السياسية العراقية بذلت جهدًا مضنيًا في نزع فتيل المشكلات والتهديد مع إيران باتخاذ خطوات تصالحية منذ عام 1979 حيال الثورة الإيرانية والإسلام الشيعي على حد سواء، لكنهما يبتنان أن كل تلك الخطوات التي عدّها بالتفصيل لم تلقَ أذانًا صاغية من القيادة الإيرانية الدينية الجديدة التي ظلت =

في هذه الأثناء استمرت التحضيرات التحسّية من الجانب العراقي بإيلاء شأن الحدود العراقية - الإيرانية أهمية أكبر، ورفع مستوى القسم الذي كان يتولّى شأن إيران في مديرية الاستخبارات العسكرية العامة إلى مستوى شعبة، وبدأت حركة دؤوبة في جمع وتمحيص المعلومات عن إيران وتحليل اتجاهاتها، وكذلك نفّذت سلسلة متوالية من الاستطلاعات التفصيلية لمنطقة الحدود العراقية - الإيرانية، قامت بها مديرية التخطيط المتشكلة حديثاً وفق النتائج التي توصلت إليها اللجنة الدارسة المشكّلة لدراسة الحدود العراقية الإيرانية⁽¹²⁾.

أشار المؤلف في هذا الصدد، إلى مؤتمر لقادة الفيالق والفرق عُقد برئاسة نائب القائد العام عدنان خير الله وبحضور رئيس أركان الجيش وهيئة ركن العمليات والاستخبارات والإدارة لتفحص استعداد التشكيلات لعمل محتمل مُقبل ضد إيران، لو تطور الموقف على الحدود إلى مواجهة. هنا كان الفريق الخزرجي

= تنظر إلى صدام كونه علمانيًا. انظر: Karla Torrez and Vincent Difronzo, «The Iran-Iraq War: Exceeding Means,» (National Defense University, National War College, October 2000), pp. 4-5, Quoted in: Efraim Karsh and Inari Rautsi, *Saddam Hussein: A Political Biography* (London: Brassey's, 1991).

(12) تشكلت في دائرة العمليات في وزارة الدفاع لجنة سميت «اللجنة الدارسة» عملت بإشراف نائب القائد العام وزير الدفاع ورئسها الراحل اللواء الركن عدنان أحمد الجبوري، أنيطت باللجنة دراسة الحدود العراقية - الإيرانية البرية والبحرية وإعداد تقدير موقف مفصل عنها. وكان كاتب هذه السطور أحد ثلاثة ضباط ألقوا الزمرة الدارسة البحرية ضمن اللجنة. تحولت اللجنة الدارسة إلى مديرية التخطيط بعد إنجاز واجبها وعيّن أحد أعضاء الزمرة البرية مديرًا للتخطيط وهو المرحوم اللواء الركن شاكر وجري الإمارة.

كما هو معهود عنه صريحًا ومباشرًا في بيان درجة استعداد التشكيلات التي سٌتُرج في المعركة، والمدة المطلوبة لإعادة تأهيلها وتحويلها من تشكيلات منهمكة في عمليات الأمن الداخلي، إلى تشكيلات قتالية تتقن المهارات التعبوية والعملياتية وأساليب المناورة المطلوبة لأحوال حرب حقيقية عصرية. صحيح أنه كان يتحدث عن أحوال القطعات المفتحة لأغراض الأمن الداخلي شمال الوطن، وفرقة السابعة التي كان يقودها واحدة منها، إلا أن ذلك كان ينطبق بشكل أو بآخر على بقية التشكيلات، لأن أغلبية التشكيلات القتالية العراقية أقحمت دوريًا في قضايا مكافحة العصيان في الشمال وعمليات الأمن الداخلي.

ثالثًا: الاعتبار المذهبي / الطائفي

ظل هذا الاعتبار يطل برأسه مؤثرًا في مجمل العلاقات بين العراق وإيران، منذ كان العراق جزءًا من الدولة الصفوية (1508 - 1534) والفترة الثانية بين عامي 1623 و1638، إذ شهدت هذه الفترة استقطابًا مذهبيًا حادًا رعته الدولة الصفوية ودفعت إليه باعتبارها دولة مذهبية طائفية تعتمد التشيع الإثني عشري مذهبًا رسميًا للدولة، الأمر الذي أثار في الشرائح المجتمعية غير الشيعية في العراق ودفعها إلى الاستعانة بالقوة السُّنَّية العظمى الموجودة آنذاك، وهي الدولة العثمانية التي دخلت مرتين لتحرير العراق من الاحتلال الصفوي في غضون قرن من الزمان، كما هو مُبَيَّن أعلاه. من هنا نشأ النزاع الحدودي الإيراني - العراقي بين الدولة العثمانية وإيران متلفعًا برداء طائفي مذهبي يدفع كلاً من الطرفين إلى تلُّبَس

حالة مذهبية للدفاع عن حيازاته، وهو ما أورث البلدين نزاعاً عنيفاً ما زالت آثاره ماثلة أمام أعيننا بما نراه يجري في عراق اليوم من صراعات مؤطرة بالإطار الطائفي، وهي ليست أكثر من صراعات سياسية مصلحية في حقيقتها يدفع البلدان ثمنها من دماء أبنائهما، كما حدث في هذه الحرب التي ناقشنا في هذا الكتاب⁽¹³⁾.

إذا حللنا سلوك القيادة العراقية في تراتبياتها القيادية المتوالية نرى أن الحماسة التي كانت تلف سلوك بعض القيادات الشابة من العسكريين الحزبيين على وجه الخصوص، مصدرها التحسب والتخوف من القيادة الدينية الإيرانية التي هيمنت على إيران، وحوّلتها بإدراك العراقيين من دولة جارة يُختلف ويُتفق معها على قضايا كثيرة، كما كان الحال زمن دولة الشاه، إلى دولة مذهبية وضعت العراق (وشيعته) نصب عينها في سعي إلى تحقيق حلم إسماعيل الصفوي بالسيطرة على البلد الذي يضمّ رفات ستة

(13) انظر: علي حسين الوردی: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث (بغداد: مطبعة العاني، 1965)، ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، 6 ج في 8 مج (لندن؛ بيروت: دار الوراق، 2007)، ج 1: من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، ج 2: من سنة 1831 إلى سنة 1872، و Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*, chap. 2: *The Conditions that Shaped the Iran-Iraq War*.

وانظر كذلك: وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية، الفارسية والدولة العثمانية، ط 2 منقحة ومزودة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001)، ص 43-62، وهي تُمثل وجهة نظر أخرى في الصراع الصفوي العثماني تقرب من اعتبار العامل الجيوبوليتيكي دافعا إليها، وإن تدثر بالإطار المذهبي للطرفين.

من اثني عشر من أئمة المذهب الإمامي، وموقع غيبة آخرهم المهدي⁽¹⁴⁾. هنا ترسخ في الأذهان أن الصراع مع هذا النظام هو صراع مبدئي تنقرر سيادة العراق وبقاؤه بنتيجته. وهنا بان أيضًا للقيادة العراقية أن الضعف البين في قوام وهيكلية القوات المسلحة الإيرانية سيعود بالنفع على أي تعرّض عراقي يستهدف إجهاض النيات الإيرانية ضد العراق في المستقبل⁽¹⁵⁾.

يندر أن تجد بلدين متجاورين من دون مطالبات من هذا البلد أو ذاك على قطاعات حدودية، أو على موارد اقتصادية أو مصادر مياه، أو عائلية فئات إثنية لهذا الطرف أو ذاك. لكن هذا لا يعني دائمًا أن تحل هذه المشكلات بالقتال، بل إن القتال هو الخيار الثامن الذي يأتي بعد سبعة خيارات متسلسلة لحلّ المنازعات بين الأمم، وهي خيارات أصبح معترفًا بها في علم العلاقات الدولية. يمكننا بعد إدراج هذه الوسائل التعرف: هل بذل هذان البلدان الجاران جهدًا أم لا للجوء إلى أيٍّ من هذه الأساليب، على الرغم من أنها كانت متاحة لهما، بل تبرعت أكثر من جهة ببذل وساطتها ومساعدتها الحميدة للوصول إلى حل يرضي الطرفين.

كان بإمكان العراق وإيران اللجوء إلى المفاوضات الثنائية أولاً، فإن تعذّرت فإلى الوساطة ثم التحقيق والتوفيق والتحكيم،

(14) هم كل من الإمام علي بن أبي طالب والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري. ويثوي في المدينة المنورة كل من الإمام الحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد. ويثوي في خراسان بإيران علي بن موسى.

Cordesman and Wagner, vol. 2: *The Iran-Iraq War*, pp. 7-8.

(15)

وعرض مشكلتهما على محكمة العدل الدولية للحصول على حكم يتعهدان بالتزامه.

كان هنالك جانب رافض دائماً لأيٍّ من هذه الوسائل. وكي لا نُتهم بأننا نحمل إيران دائماً المسؤولية، ننصح المتتبع بالعودة إلى جهد بذلته الجزائر وتوقف عند إسقاط طائرة وزير الخارجية الجزائري الراحل محمد الصديق بن يحيى في 3 حزيران/يونيو 1982 على الحدود الإيرانية - التركية وهو في طريقه إلى طهران، بعد أن زار بغداد بهدف الوساطة بين البلدين المتحاربين. والمراقب لسجل الوساطات ومحاولات التسوية بين البلدين يجد أنها توقفت تقريباً في غضون السنوات الأولى من الصراع، بعد أن تأكد للجهات القائمة بها عدم توافر الإرادة السياسية لدى الطرفين لإنهائه. يمكن أن يستنتج المتابع المحايد بسهولة أن الطرف الذي كان يصر على عدم إنهاء الحرب هو إيران ممثلة بشخص الإمام الخميني.

الفصل الثالث

الحرب العراقية - الإيرانية المقدمات والنتائج

اندلعت الحرب في فترة يحسبها العراق من 4 أيلول/ سبتمبر 1980، باعتبار هذا التاريخ هو الموعد المثبت لبدء إيران التعرض للأرض العراقية مدناً وبلدات ومشاريع، وهو موعد ثبته العراق بمذكرات رسمية أودعتها الخارجية العراقية الجانب الإيراني دبلوماسياً وأشعرت بها الأمم المتحدة. أما إيران فلا تعدُّ فاعلياتها في هذه الفترة عدواناً على العراق، على الرغم من أنها تقع تحت التعريف الدولي المتفق عليه للعدوان في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (3314XXIX) المتخذ في جلستها المرقمة 2319 في 14 كانون الأول/ ديسمبر 1974. يقول منطوق القرار في تعريف العدوان الوارد في المادة (1): «العدوان هو استعمال القوة المسلحة من جانب دولة ما ضد سيادة دولة أخرى أو سلامتها الإقليمية أو استقلالها السياسي، أو بأي صورة أخرى تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة، وفقاً لنص هذا التعريف».

وفي تصنيف الأفعال التي تُعد عدواناً أوضحت الفقرة (ب) من القرار أن القصف المدفعي يُعد أحد أشكال العدوان⁽¹⁾.

شن العراق تعرّضه الاستباقي في 22 أيلول/ سبتمبر في

(1) انظر الموقع الإلكتروني للجمعية العامة للأمم المتحدة: <www.un.org>.

توقيت اختيار لتحقيق المباغته، إذ انطلقت طائرات القوة الجوية العراقية لتُحقق ضربة مفاجئة للقواعد الجوية الإيرانية الموجودة في المدين القريب والمتوسط من جبهة العمليات التي ستشأ اعتباراً من اليوم المذكور⁽²⁾. نجد هنا ممهاة بكل من الضربة الأولى التي تحققت على الجهد الجوي الإسرائيلي في جبهة القناة، والتي نفذها سربا هوكر هتتر عراقيان موضوعان بإمرة القوات المسلحة المصرية يوم 6 تشرين الأول/ أكتوبر 1973 (العاشر من رمضان)، والضربة الجوية الإسرائيلية الاستباقية يوم 6 حزيران/ يونيو 1967. ثم ابتداء الاختراق العراقي لإيران من ثلاثة قواطع عمليات أهمها القاطع الجنوبي الذي استهدف عربستان بعملية خرق عميق نفذتها خمس فرق مدرعة ومشاة آلية من ثلاثة محاور مستهدفة مدنها الكبرى: المحمرة وعبادان والأحواز والفلاحية. ونفذ خرق مواز للجبهة في القاطع المقابل لمحافظة ميسان (العمارة)، مستهدفاً مدينة ديزفول القاعدة العسكرية والصناعية المهمة، والشوش، فضلاً عن اختراق آخر نفذ في القاطع الأوسط من ساحة العمليات مقابل بغداد، وهو القاطع الذي بدأ العدوان الإيراني منه، لذلك وجدت القيادة العراقية أهمية لإبعاد الأذى الإيراني، فاستهدفت مدن قصر شيرين

(2) يبين ج. حسين راضي أن الخميني نفسه فوجئ بالاجتياح العراقي، لذلك اضطر إلى تعديل خطابه وبدأ بالإشادة بالجيش وأطلق سراح الضباط المعتقلين من جيش الشاه، بعد أن كانت العمليات جارية بتصفية الكادر الضباطي بالإعدام والسجن من جهة، وتدمير التفانة العسكرية الأميركية من جهة أخرى. انظر: G. Hossein Razi, «An Alternative Paradigm to State Rationality in Foreign Policy: The Iran-Iraq War,» *Western Political Quarterly*, vol. 41, no. 4 (December 1988), p. 711.

وكيلان غرب وسريل زهاب⁽³⁾. وحقت القطعات الخارقة أهدافها تقريبًا في كل القواطع، وفرضت سيطرتها على قطاعات مهمة من الأرض الإيرانية المقابلة للعراق التي يخشى أن تنطلق منها عمليات تعرضية إيرانية ضد العراق⁽⁴⁾.

هل كان ما قام به العراق في 22 أيلول/ سبتمبر 1980 استباقًا أم حربًا وقائية أم حربًا إجهاضية أم حربًا دفاعية؟

للإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ من ضبط التعابير والمفاهيم الاصطلاحية الواردة أعلاه. لنبدأ بالاستباق (Preemption). يُعرّف قاموس المصطلحات العسكرية الأميركي الصادر عن وزارة الدفاع الأميركية الهجوم الاستباقي بأنه: الهجوم الذي يُشنّ على أساس دليل لا شكّ فيه بأن هجوم العدو أصبح أكيدًا ووشيكًا⁽⁵⁾.

مرّت الحرب العراقية - الإيرانية (1980 - 1988) بأربع مراحل متميّزة لكل منها سماتها، يمكننا إجمالها بما يلي:

(3) يُعد مضيق بايطاق بوابة العراق الشرقية، ومنذ شهد العراق غزوات الأعراب، كان هذا هو الممر الذي يسلكه الغزاة للقدوم والدخول إلى سهل وادي الرافدين. لذلك نجد أن مسك هذا المضيق كان أحد أهداف الخلفاء العباسيين المتأخرين عندما طردوا المتسلطين على بغداد، وأعادوا إحكام سيطرتهم على العراق.

Stephen C. Pelletiere and Douglas V. Johnson, *Lessons Learned: The Iran-Iraq War* (Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1991), pp. 7-11.

(5) Preemptive Attack Is: An Attack Initiated on the Basis of Incontrovertible Evidence that an Enemy Attack Is Imminent, see: *Department of Defense Dictionary of Military and Associated Terms*, Joint Publication; 1-02 ([Washington, DC: Government Reprints Press], 1911), p. 288.

- المرحلة الأولى: مرحلة الرد على العدوان وأخذ زمام المبادرة

بدأت هذه المرحلة اعتبارًا من 22 أيلول/سبتمبر 1980 بالتعرض العراقي الذي استهدف الوصول إلى مناطق في العمق الإيراني تكون مؤثرة استراتيجيًا كي تُجبر إيران على الجلوس للتفاوض وحل المشكلات سلميًا. وحقق العراق خرقًا ذا مغزى في القواطع الثلاث للعمليات: القاطع الجنوبي حيث كانت قوة الخرق الرئيسة التي استهدفت القاطع البري المقابل للبصرة، ووصلت طلائع القوات العراقية، حين دخلت الفرقة الآلية الخامسة إلى مشارف الأحواز، واجتازت الفرقة المدرعة الثالثة الطاهري على نهر الكارون، وأحكمت الحصار على عبادان من الجنوب الشرقي وقطعت طرق مواصلاتها مع المحمرة (خرم شهر) - عبادان على شط العرب. وكان اندفاع مدرّع من منطقة الفكة قد نجح في اجتياز المانع الرملي في منطقة تلال الله أكبر فواصل طريقة باتجاه الأحواز عن طريق البسيتين - الفلاحية (سوسنکرد) - كوت الهواشم التي وصلت الفرقة التاسعة المدرعة إلى مشارفها.

في قاطع الفيلق الرابع نجحت الفرقة العاشرة في عبور نهر الطيب والدراجي على الحدود واندفعت باتجاه ديزفول المدينة المهمة على نهر الكرخة، ووصلت إلى الضفة القريبة من النهر بعد أن احتلت إمام زادة عباس في طريقها، ووصلت الفرقة الآلية الأولى إلى الشوش على نهر الكرخة العمية، وبهذا تكون القوات العراقية قد استوعبت الفضاء الذي يفصل الحدود

العراقية - الإيرانية عن نهري الكرخة والكرخة العمية. أما في القاطع الأوسط الذي كان هدف العدوان الإيراني في 4 أيلول/ سبتمبر 1980 فاندفعت الفرقة المدرعة السادسة واحتلت قصر شيرين، ثم اندفعت إلى سري بول زهاب على مدخل مضيق باي طاق الاستراتيجي في سلسلة كرند التي شكلت على الدوام المدخل إلى العراق. واندفعت من مندلي تشكيلات أخرى احتلت سومار وكيلان غرب.

بعد إنجاز القوات المسلحة العراقية هذه الصفحة من الحرب بادر العراق إلى بيان عدم وجود أطماع لديه في الأراضي الإيرانية، وأن كل ما يطمح فيه هو الجلوس والتفاوض مع إيران لوضع أسس لعلاقة تفاهم وحسن جوار بين الطرفين⁽⁶⁾، فأعلن قبول قرار وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن في جلسته 224 تحت رقم 479 في 28 أيلول/ سبتمبر 1980⁽⁷⁾.

(6) بادر العراق فضلاً عن قبوله قرار وقف إطلاق النار الذي يدعو إلى انسحاب قوات البلدين إلى حدودهما الدولية، إلى قبول الوساطات كافة كلجنة المساعي الحميدة التي شكلتها الأمم المتحدة برئاسة السفير الكويتي ومبادرة الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم ومبادرة مؤتمر القمة الإسلامية والوساطة التي رئسها الرئيس الباكستاني ضياء الحق، ووساطة الرئيس الراحل عرفات وغير ذلك كثير. للتفاصيل انظر: العراق، وزارة الخارجية، اللجنة الاستشارية، النزاع العراقي الإيراني: ملف وثائقي (بغداد: اللجنة الاستشارية، 1981).

<<http://www.UNSCLresolutionsL479/1980>>.

(7)

كما أصدرت الأمم المتحدة كتاباً تحت عنوان الحالة بين العراق وإيران يمكن الاطلاع فيه على سلسلة القرارات الدولية التي رفضتها إيران حتى القرار 578 لعام 1987 الذي اضطرت إلى قبوله بعد تحطيم ألتهام العسكرية في معارك التحرير الكبرى التي نتاولها في هذا الكتاب.

- المرحلة الثانية: الهجوم الإيراني المقابل وتحوّل العراق إلى الدفاع

كانت معركة الخفاجية (سوسنكرد) والبستين في مفتتح عام 1981 علامة تحوّل إيران إلى الهجوم بتنفيذ قواتها عملية هجوم مقابل بالدروع؛ حيث اشتركت نحو 300 دبابة، أي ما يعادل لواءين مدرعين في عملية هجوم مقابل عنيف استبسلت القوات العراقية في صده واستماتت، حتى تحملت الفرقة المدرعة التاسعة خسائر جسيمة وكادت أن تشطب من القوة القتالية، إلا أن نتيجة هذه المعركة حسمها العراقيون بهجوم مقابل وبمعركة مهارشة بالدبابات نفّذها اللواء المدرع العاشر بقيادة العميد الركن (آنذاك) محمود شكر شاهين وتم تدمير التعرض الإيراني. تحوّلت القوات العراقية منذئذٍ إلى الدفاع وفقدت المبادأة. ومن الملاحظ أن العراقيين حققوا هنا خطة مخادعة ممتازة نفّذها القائد العراقي بالتظاهر بالانسحاب أمام رتل الدبابات الإيراني المتقدم، وفجأة وبمناورة ذكية أطبق اللواء المدرع العاشر المجهز بدبابات (T-72) السوفياتية الحديثة، بحركة مناورة ضرب الجناحين، على الفرقة المدرعة الإيرانية وأوقعها في كمين، فتم تدمير زهرة القوات الإيرانية فيه ولم ينجُ إلا من اختار الفرار⁽⁸⁾. تصلح هذه المعركة لتكون مثالاً مثاليًا لمعارك الدروع في صفحتي مهارشة والدفاع السيّار، وكان القائد العراقي ماهرًا في تنفيذ مناورة الالتفاف من الجناحين والإطباق على العدو كما

أشارت الدراسة المعمقة المذكورة في الهامش (8). ومن دروس هذه المعركة المهمة أن الجيش الإيراني النظامي فقد قدرته على القرار في الجبهة بعد هذه المعركة، وتساعد مُذاك دور المعممين ورجال الدين الذين لجأوا إلى تثوير المتطوعين غير النظاميين (الباسيج) وتجييشهم وزجهم، بعد طقوس شيعية إيرانية، في رحى المعركة التي حصدت مئات الألوف منهم من دون اعتبار لأرواحهم وأسرهم، في قتال عبثي كان يمكن التوصل إلى تسوية له بعد أن وافق العراق على المفاوضات لحل النزاع، وتطوعت أكثر من جهة محايدة للتوسط بين الطرفين.

بدأ منذ ذلك الحين ما دعي بالهجمات بـ «الموجات البشرية» التي استهدفت إشباع النيران الدفاعية بهجمات موجات الباسيج المتوالية المشكّلة حتى من أطفال أسرهم العراقيون وهم في ميعة الصبا والفتوة، وكان أول استخدام واضح لهذه التعبئة (الهجوم بموجات بشرية متتالية) في معركة البسيتين في 19 تشرين الثاني/نوفمبر 1981، حين فاجأت موجات الباسيج الإيرانية الهاجمة العراقيين المدافعين وأخذتهم على حين غرة، فارتبك القادة التعبويون العراقيون وبادروا إلى زج احتياطاتهم في وقت مبكر، الأمر الذي استنزف وأشبع الخطة الدفاعية العراقية⁽⁹⁾، لكن ما حصل في الخفاجية والبسيتين لم يكن إلا مؤشراً أضاء بقوة، دافعاً العراق إلى الانكفاء إلى حالة الدفاع وفقدان المبادأة والتخلي عنها، مع أن المبادأة كانت السبب، إلى

(9) المصدر نفسه، ص 10.

جانب عوامل أخرى، في اندفاع قواته عبر الحدود والإمساك بهذه
 الفسح الحاسمة التأثير، كما سنرى في ما بعد، لكن المعضلة
 هنا، أن الجندي العراقي سيحفر خنادقه، ويشيد تحصيناته على
 أرض لا تعود إليه، على أرض غير عراقية، أي على أرض محتلة.
 لا أعتقد أن غير الجندي سيتحسس ثقل الوازع الأخلاقي الذي
 يجعله يحتل أرضاً لا تعود إليه، بعد اهتزاز المبرر لاحتلالها في
 الوقت نفسه، فما بالك بالدفاع عنها؟ ستصاب هنا المعنويات
 بأذى شديد ويتلاشى نبل المقصد، بأن الجيش ما اندفع هكذا
 وبهذا العمق إلا دفاعاً عن قضية نبيلة هدفها أولاً وأخيراً إبعاد
 العدوان عن الديار، وقطع الطريق على الشر لئلا تتاح له الفرصة
 ويستشري في أرجاء الوطن، كما سيحصل في ما بعد عندما تحوّل
 العراق أرضاً محتلة. من هنا بدأت معنويات وإرادة القتال تتآكل،
 بدأتنا نشعر بأن الجندي، بل حتى القائد بدأ يشعر بعظم المسؤولية
 التي تقع على عاتقه، ولو بمنظورين مختلفين، فالجندي يرى
 أنه يدافع عن أرض محتلة سيكون ثمنها دمه ومستقبل أولاده،
 وهذا يضع على كاهله ثقلاً معنوياً كبيراً ومسؤولية تهتز نفسه
 ومعنوياته من ثقلها، وستساءل هل سيطيع الأوامر وإلى أي
 مدى، أم سيهرب من المواجهة أم سيستسلم للعدو؟ كان الصراع
 بين العاملين المشار إليهما؛ الأول المتمثل بالانضباط وتنفيذ
 الأوامر الذي يعني الصمود حتى الاستشهاد، والثاني أي الفرار
 من ساحة المعركة، وما سيجلبه على نفسه من عقوبة قد تصل إلى
 الإعدام، وتحمل أبنائه وعائلته عار الفرار، أو الاستسلام للعدو
 المتقدم المندفع وتحمل ذل الأسر على عار الفرار، سبباً في العدد

الكبير من الأسرى العراقيين، خصوصًا بعد تعرّض العدو لمناطق الطاهري والمحمرة (خرمشهر) والشوش والفكة وقاطع ديزفول بشكل واسع النطاق. وستكون مسؤولية الضابط الأمر/ القائد أكبر، إذ سيتحمل وحده مسؤولية الإخفاق وسيرى أن في رقبته مسؤولية كبرى هي المحافظة على المواضع التي يحتلها بوحداته والدفاع والقتال عنها وعليها حتى الموت وإلا لاحقه عار الهزيمة التي قد يدفع حياته ثمناً لها، ربما بغير مبرر علمي ومنطقي، وفي حالة الشهيد اللواء الركن برهان خليل التي أشار إليها الفريق الخزرجي في مذكراته برهان ساطع على هذا.

رأينا ابتداءً من هذه المرحلة مزايدات البعض في دوائر معينة من الحزب والأمن العسكري على حرفة وقاتلية القادة والأمريين، ونتيجة وشايات محددة دفع بعض ألمع الضباط العراقيين أرواحهم ثمناً لروايات ثبت في ما بعد عدم صحتها، الأمر الذي حدا القيادة إلى إخراج تسوية أطلقت على هؤلاء المعدومين تعبير «شهيد الغضب». وهو غضب كان ينبغي ألا يصل إلى حد إنهاء حياة فرد يتحمل مسؤولية القتال والمواجهة من دون تمحيص معمق. نعم، يستحق بعض المتخاذلين العقاب الصارم إذا ما تمخّض عن تصرفه أو ضعف قيادته أو عدم اتباعه السياقات العسكرية في التعامل مع الموقف، انهيار الدفاعات أو فشل عمليات التعرض. وهو أسلوب معمول به في الحروب وواحد من أوجهها القبيحة، لكن حتى هذه الحالة عندما تحصل يتحمل من اختار شخصاً غير مناسب ليقود الرجال، من دون أن يكون متمتعاً برجولتهم ولا بحرفة القيادة، مسؤولية غير مباشرة

في وضعه رجلًا غير مناسب وغير أهل للقيادة على رأس تشكيل حربي، يشغل مهمة كبيرة وخطرة ضمن سلسلة المسؤوليات التي تشمل الموقف الحربي بشكل عام.

هنا كان من عُيِّن لقيادة لواء مشاة في عملية الهجوم المقابل لاستعادة الفاو في عام 1986 من دون أن يكون كفيًا لقيادة هذا اللواء، وكانت النتيجة أن تشتت اللواء ودفع الأمر حياته ثمناً لذلك.

كان الخزرجي ينافح ويدافع عن رؤوسيه ممن وضعوا في موقف كهذا على رغمهم، ورأيانه كيف تدخّل لإنقاذ حياة العميد الركن برهان خليل، وكتب إلى القائد العام رسالة لم تصل إليه، وسبق السيف العذل، وذهب برهان تبكيه أعيننا نحن الذين عرفناه وخبرناه، لكن الخزرجي نجح في حالات أخرى في إنقاذ حياة رؤوسيه وكنت شاهدًا على حالتين منهما عندما كان قائدًا للفيلق الأول، وكنت أنا في تلك الليلة الضابط الركن المناوب في رئاسة الأركان العامة، عندما طلب التدخّل لدى القائد العام للعفو عن أحد أمري أفواج اللواء 515 في قاطع جوارته، المحكوم بالإعدام لتخاذله وانسحابه من دون أمر، بعد أن تأكد أن الضابط المذكور قد انسحب بناء على أوامر آمر لوائه الذي أكد ذلك وهو في لحظة الإعدام. وأشار الخزرجي إلى حالة أخرى مشابهة في مذكراته عندما تدخّل أيضًا لإنقاذ ضابط محكوم بالحكم نفسه لحظة التنفيذ بعد أن تأكد من سلامة موقفه.

- المرحلة الثالثة: الانسحاب إلى الحدود الدولية والدفاع عنها

تفاقم وضع القوات المسلحة العراقية في الأراضي الإيرانية نتيجة الهجوم المقابل الإيراني على القطعات العراقية التي انتقلت إلى الدفاع بعد تلاشي زخم هجومها وتوقفها على مشارف مدن رئيسة. فشلت في هذه المرحلة عملية السيطرة على عبادان، ولم يُحقق عبور ترعة بهمنشير (فرع نهر الكارون الذي يصب في الخليج العربي) أهدافه بالإطباق على عبادان، ولم تجرِ عملية عبور لسط العرب باتجاه عبادان من الضفة العراقية، لذلك مُنيت الفرقة التي حققت عبور بهمنشير وأطبقت على عبادان من جهة الشرق بخسائر كبيرة، بعد أن تلاشى زخم هجومها واضطرت إلى التوقف، سرى كيف ناقش الخزرجي هذه العملية وبيّن نقاط ضعفها.

كان الفيلق الثالث الذي يقود الجبهة في هذا القاطع قد أعد دراسة تحليلية لساحة العمليات بإشراف القائد اللواء الركن صلاح عارف القاضي، وأرسلها إلى القيادة العامة مع مقترحات محددة، أهمها إخلاء الأراضي الإيرانية والدفاع عن الحدود العراقية على الحدود، الأمر الذي سيتيح تقصير خطوط الجبهة وتوفير قطعات يمكن المباشرة في إعادة تنظيمها. كما كان إجراءً مثل هذا، لو تم، سيربك ترتيبات العدو وسيُسبب في إطالة خطوط مواصلاته، وكان سيجبره على إعادة التكيف مع الوضع الجديد الذي فرض عليه. كل هذا سيصب في مصلحة القوات العراقية التي كانت بحاجة ماسة إلى إعادة التنظيم، وإعادة شحذ

المعنويات التي بدأت تتآكل نتيجة الدفاع عن أراضي معادية من دون مبرر معنوي مقنع.

يلحظ المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة في كتابه الحرب العراقية - الإيرانية، أن حرية الحركة والقدرة على المناورة والتنقل باختيار الأهداف على طول الجبهة من جانب الإيرانيين كانت بسبب سلبية المخطّط والقائد العراقي في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع العدو من التحشد، ومنعه من الاحتفاظ بالمبادأة⁽¹⁰⁾. ما جاء به المشير أبو غزالة ليس جديداً، بل كان متداولاً في دوائر تخطيطية وقيادية عراقية متعددة، إلا أن سطوة المدرسة العسكرية التقليدية على مهام التخطيط والعمليات كانت شديدة إلى الحد الذي نتج منه بطء في ردة الفعل، وفي محاولة سد الثغرة بالركون إلى الدفاع العزوم، وهو ما تحقق فعلاً. فضلاً عن أن مجريات الأمور تثبت أن الإيرانيين لم يتمكنوا في هذه المرحلة من السيطرة على أراض عراقية ذات قيمة تعبوية أو استراتيجية فائقة، وأيدت كتابات غربية متعددة وجهة النظر هذه، وبالأخص كتابات كلية الحرب الأميركية المشار إليها في هذا التقديم في أكثر من مجال.

ما يمكن الإشارة إليه هنا أنه كان على المخطط العراقي أن يتبصر ويضع صفحات متتالية لحرب نشبت على حدود البلدين،

(10) انظر: محمد عبد الحليم أبو غزالة، الحرب العراقية الإيرانية، 1980-1988 [د. م. د. ن.].، 1993، ص 106-139.

وحقق العراق فيها خرقاً واضحاً لدفاعات العدو في مناطق مهمة من الجبهة. كان من المفروض أن يُقرر مسبقاً أي مدن يجب احتلالها والقتال دفاعاً عنها، وأي مناطق ذات أهمية تعبوية واستراتيجية كان يجب توجيه الجهد إليها ومسكها وعدم التخلي عنها.

عندما نناقش هذه الأمور يتضح لنا أن ساحة القتال الرئيسة هي البصرة، ومن هنا ستُعطي صدقية للدفاع عنها بتنظيف المقتربات المعادية التي تهددها، ومن هنا سيكون احتلال جزيرة الخضر (عبادان) مفيداً، بل كان يجب أن يكون الهدف الأول الذي تتوخاه القوات العراقية، وكان سيتحقق بخسائر أقل من تلك التي تحمّلتها القوات العراقية في ما بعد. كان احتلال جزيرة الخضر (جزيرة عبادان) سيحقق للجانب العراقي هدفاً مهماً وتساوياً من أهداف الحرب، لأنه كان سيحكم السيطرة على ضفتي شط العرب ويعيده نهراً عراقياً خالصاً، بعد أن أجبر العراق على التخلي عن نصف مجراه في اتفاقية 1975 بين العراق وإيران التي دُفع بها شط العرب ثمناً لسحب إيران تأييدها وإسنادها التمرد الكردي.

لو طهر العراقيون جزيرة عبادان لاستندوا إلى خط دفاعي متين تشكّله ترعة بهمنشير، ولأسندوا عمق دفاعاتهم على الأرض العراقية عبر شط العرب الذي كان بإمكان هندسة الجيش العراقي إنشاء عدد من الجسور والمعابر عليه، كما فعل الإيرانيون بعدها، عندما سيطروا على الفاو في عام 1986، بل إن هذه العملية الإيرانية لم يكن يقيّض لها أن تتحقق، لو كان للعراقيين وجود على

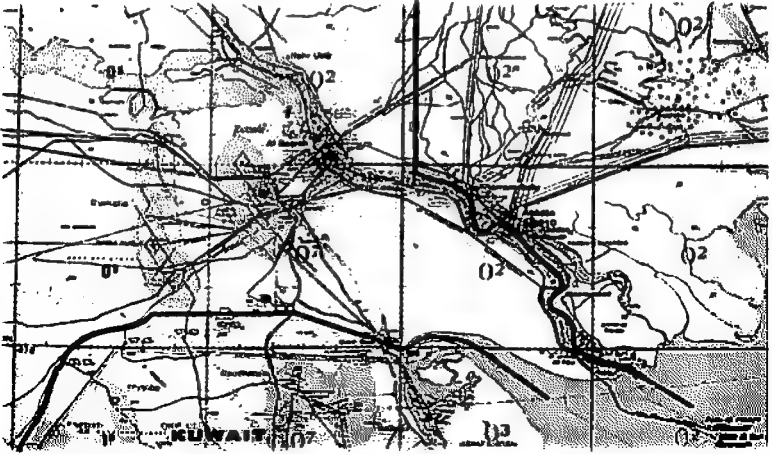
الضفة البعيدة من شط العرب مع عدم وجود موطن قدم إيرانية فيها وفي جزيرة الخضر (عبادان).

على الرغم من ذلك، ومع أن الخلافات الحدودية تُعد من أهم أسباب النزاع بين الدول، كان يمكن أن يقود تغليب علاقة حسن الجوار والنيات الحسنة، إلى إيجاد حل للنزاع الحدودي العراقي - الإيراني مهما كانت تعقيداته، كما حدث على وجه ما في أثناء الحقبة الملكية في العراق. حينها كانت العلاقات بين البلدين أكثر دفئًا منذ الزيارة التي قام بها مؤسس العراق الحديث الملك فيصل الأول إلى طهران، واستقباله بحفاوة من جانب شاه إيران مؤسس الأسرة البهلوية رضا شاه، ثم عقد معاهدة سعد آباد (في عام 1936) مع كلٍّ من إيران وأفغانستان وتركيا، مرورًا باتفاقية 1937 لتنظيم الملاحة في شط العرب، علاوة على عقد البلدين معاهدة حسن الجوار خلال زيارة الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله إلى إيران في عام 1949، إذ تعهد الطرفان بالتوصل إلى تسويات للقضايا الحدودية المعلقة بينهما، وصولًا إلى انضمام البلدين إلى حلف بغداد في عام 1955. وفي ما يخص مشكلة شط العرب توصل الطرفان في عام 1957 إلى آلية إدارة مشتركة للملاحة في الشط، وإلى إحالة موضوع شط العرب على وسيط سويدي يتولى دراسته وتقديم مقترحاته للطرفين⁽¹¹⁾.

Efraim Karsh, «Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq (11) War,» *Middle East Journal*, vol. 44, no. 2 (Spring 1990), p. 262, and Rouhollah K. Ramazani, *Iran's Foreign Policy, 1941-1973; a Study of Foreign Policy in Modernizing Nations* (Charlottesville: University Press of Virginia, [1975]), p. 402.

الخريطة (3 - 1)

موقع جزيرة الخضر (عبادان) وخطورتها الاستراتيجية
التي كان يجب أن تكون الهدف الأول للقوات العراقية



الفصل الرابع

إخفاقات وتكسات

التحشد (Concentration) والمبادأة (Initiative) مبدآن خطران ومهمان من مبادئ الحرب حصل في تطبيقهما خلل من الجانب العراقي، بسبب التردد والتحسب وقلة التدريب، نتيجة الخسائر التي مُنيت بها القوات العراقية طوال سنتين من القتال، لكن العراق نجح بعد انسحابه من الأراضي الإيرانية في أن يؤمّن التحشد في الأمكنة الدفاعية على طول الجبهة، ونجح في بناء دفاع قوي، حيث استفاد من الموانع الطبيعية مثل الجداول والترع والبحيرات في إسناد أجنحته الدفاعية عليها. وكان جهد هندسة الميدان العراقي مسترعيًا النظر في تفاعله مع تطور التخطيط الدفاعي، وأنشئت سلسلة من الموانع والمقتربات والطرق والجسور التي سهّلت أمور التنقل الميداني في ساحة العمليات وما وراءها. ولمّا تبين في ما بعد أن هذا الجهد لم يعد كافيًا لتلبية متطلبات الجبهة، أسعف جهد الدولة المدني القوات المسلحة في تأمين متطلباتها الهندسية. كان تسخير الجهد المدني الهندسي اختبارًا ناجحًا لخطة التعبئة والنفير التي تهدف إلى توجيه جهد الدولة لخدمة جهد الدولة الحربي في أثناء النفير والتعبئة.

كان لفقدان العراق المبادأة من وجهة نظرنا مبررات منطقية، لعل في مقدّمها تصوّر قد يكون استقر في ذهن القيادة العراقية بأن

العالم سيُبادر فوراً إلى إيجاد حل يعيد إلى العراق شط العرب وينهي القتال لعدم قدرته على تحمّل انقطاع الإنتاج النفطي للعراق وإيران، فيما لو استمرت الحرب كما سبق وأسلمنا، لكن ما حصل هو أن العالم لم يستطع ضبط إيقاع الصراع ووضع نهاية له، وكأن استمرار هذه الحرب هو هدفٌ بحد ذاته. هنا كان على القيادة العراقية أن تبني خططها لا على ما تتمناه، بل على ما يمكن أن يحصل. هكذا ركنت القيادة العراقية إلى الدفاع على أرض العدو، وبهذا تخلت عن المبادأة وتلقفها العدو الذي ظل يمسك بها ويعيد الإمساك بها من خلال سلسلة من العمليات التي أطلق عليها مسميات ذات صفة عقيدية دينية، بل شيعية أحياناً. بناء على ذلك بدأت عمليات «مسلم بن عقيل» على مندلي، وعمليات «والفجر» المتسلسلة على شمال العراق، و«النصر»، و«كربلاء» بعملياتها المتسلسلة. فقدت إيران المبادرة نهائياً في ختام هذه العمليات وتحولت المبادأة إلى العراق عبر سلسلة من الإجراءات التي عالجت الموقف المتردي للقطعات العراقية في الجبهة، وتعرّضها لكلٍّ من الاستنزاف والانهك المتصاعد مع إطالة مدة العمليات، فضلاً عن استهداف المدن والمدنيين كأهدافٍ عسكرية بغية تدمير معنويات العراقيين ودفعهم إلى التمرد والعصيان من جهة، والتأثير في معنويات المقاتل وإشعاره بعدم أمانه هو في الجبهة، كما بعدم تمتع عائلته وأهله بالأمن في الداخل، نتيجة حرب المدن. كانت مدينة البصرة طوال مدة الحرب مدينة جبهة تمسك بها سكانها ولم يُخلوها ودافعوا عنها بمعنويات عالية حتى انتهاء الحرب.

كان الاستنزاف المتبادل أحد أهداف الطرفين من المعارك

العنيفة، حيث هدف كل منهما إلى استغلال كل ما تتيحه له عملية التحشيد المادي والمعنوي وتحالفاته الدولية ومستوى تقنيات القتال المتاحة له. كان العراق قد أعلن أن العالم كله ساحته، عدا الكيان الصهيوني للحصول على حاجاته، هكذا دخلت البرازيل والأرجنتين والصين وتشيلي حتى جنوب أفريقيا ضمن زبائنه الموردين. وحده، الكيان الصهيوني لم يكن من مورديه.

اختارت إيران مورديها ومن ضمنهم «الشیطان الأكبر» وإسرائيل⁽¹⁾. وقبض للتعاون الإيراني - الإسرائيلي - الأميركي أن يفتضح عندما كُشف الستار عن عملية «إيران كونترا» التي نظّمها المقدم أوليفر (إيلي نورث) المسؤول عن العمليات السرية غير القانونية (Clandestine Operations) من هيئة ركن مجلس الأمن القومي الأميركي، والتي هدفت إلى الاستفادة من عملية إمداد إيران بالعتاد (الذخيرة)، والمواد الاحتياطية (قطع الغيار) وبعض الأسلحة، لتحصيل وفر مالي تموّل بموجبه عمليات حركات الكونترا التي منع تشريع الكونغرس المسمى (تعديل بولون (Bolan Amendment) تسليحها أو تمويلها في السلفادور، لشيوع انتهاكاتها حقوق الإنسان. وعند بروز الحاجة إلى تسليح إيران، للمساعدة في تحرير رهينة أميركية احتجزها في لبنان عملاء إيران، ولأهداف

(1) تعد الذرائعة (البراغماتية) إحدى وسائل السياسة الخارجية الإيرانية منذ أقدم العصور. وقد رصدها البروفسور من أصل إيراني (R. K. Ramazani) صاحب الكتابات المتخصصة في السياسة الخارجية الإيرانية في مختلف الحقب التاريخية. له دراسة مميزة عن الأيديولوجيا والبراغماتية في السياسة الخارجية الإيرانية. انظر: Rouhollah K. Ramazani, «Ideology and Pragmatism in Iran's Foreign Policy», *Middle East Journal*, vol. 58, no. 4 (Autumn 2004), pp. 549 - 559.

أخرى نعتقد أن من ضمنها إطالة أمد الحرب لاستنزاف البلدين المتحاربين، تم ترتيب هذه الصفقات السرية عبر تاجر من أصل إيراني⁽²⁾.

في هذه المرحلة حاولت إيران بجهد مركّز وعبر سلسلة من العمليات المنتشرة على طول الجبهة العراقية - الإيرانية اختراق المنظومة الدفاعية العراقية، خصوصًا من أوهنها دفاعًا، كما حصل بعد اجتياح الإيرانيين هور الحويزة وعبورهم هذا المانع المائي الاستراتيجي الذي لا يتيح لأيّ كان الحركة عبره بحرية. نجحت إيران إذًا في عبور هور الحويزة، والنفوذ إلى الطريق العام لبغداد - البصرة جنوب قلعة صالح (انظر خريطة العراق)، واندفعت بعد ذلك بعملية إحاطة غير ناجحة، كان هدفها الاندفاع إلى البصرة من الغرب وتطويقها واحتلالها (كان الهدف الإيراني طوال مدة الحرب احتلال البصرة وحرمان العراق من هذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية الحيوية)، وهو هدف يدل على حصافة المخطط الاستراتيجي الإيراني الذي ركّز على الهدف الذي يصيب العراق في مقتل. يرى بليتيير في كتابه السابق الذكر أن استمرار العراق في البقاء بعد قطع البصرة عنه يُعد أمرًا مشكوكًا فيه، لذلك فإن مجرد نجاح العراق في إيقاف الموجات الهاجمة وتدميرها، ومجرد إحباطه أي جهد إيراني استهدف البصرة، ومنعه

(2) للاطلاع على تفاصيل أكثر عن الحادثة التي هزت أخلاقيات إدارة ريغان،

انظر ملف أولي نورث في موقع مجلس الأمن القومي: «The National Security Archive, Oliver North File: His Diaries, E-Mail, and Memos on the Kerry Report, Contras and Drugs.» (National Security Archive Electronic Briefing Book; no. 113, 26 February 2006), on the Web: <<http://www2.gwu.edu/~nsarchiv/index.html>>.

في الوقت نفسه القطعات الإيرانية من التمرکز الفاعل المؤثر في أراض عراقية ذات أهمية استراتيجية أو عملياتية، يُعد بحد ذاته إنجازاً كبيراً⁽³⁾.

– المرحلة الرابعة: مرحلة الاستنزاف واحتلال الفاو

تحوّلت هذه الصفحة إلى صفحة استنزاف إيراني لموارد العراق الدفاعية، ومحاولة مدروسة لتدمير معنويات الجبهة الداخلية، الأمر الذي دفع إلى استهداف الداخل العراقي ومن ضمنه بغداد، بالقصف الصاروخي، ثم إخضاع البصرة لقصف مدفعي يومي شكّل سمة من سمات حياة المدينة التي عاش سكانها تحت وابل القصف المدفعي في أثناء هذه الحرب الطويلة، ورفضوا تركها ومغادرتها وتحملوا عناء الحرب كأنهم جنودٌ مقاتلون في جبهة قتال.

اضطر العراق إلى خوض الحرب نفسها مع إيران (حرب المدن)، وبزخم صاروخي وجوي أكبر، خصوصاً بعد نجاحه في تأمين مواقف جوية ملائمة لمصلحته في جو المعركة، ونجاحه في تطوير إمكاناته في التقانة الصاروخية، الأمر الذي أتاح له تطوير مديات صواريخ سكود السوفياتية من نحو 250 كلم إلى 350، وإلى 600 كلم، وأنشأ جيلاً من هذه الصواريخ أطلق عليه مسمى «الحسين»، بما له من رمزية لدى كلٍّ من شيعة العراق وإيران،

Stephen C. Pelletiere, *The Iran-Iraq War: Chaos in a Vacuum* (New York: (3) Praeger, 1992), pp. 13-18.

علاوة على نجاحه في الوصول إلى مدى 950 كلم بصواريخ أطلق عليها اسم «العباس» أخ الإمام الحسين غير الشقيق الذي استشهد معه في معركة الطف، والذي يحمل اسمه قدسية خاصة لدى شيعة العراق، بحيث يخشى من يُقسم باسمه كذباً من وبال ينزل عليه. وكانت صواريخ «العباس» هذه هي الوبال الذي أنزله العراقيون بطهران وقم والمدن البعيدة الأخرى في العمق الإيراني.

حسم العراق معركة المدن الصاروخية لمصلحته، لكن البصرة المدينة العراقية الثانية ظلت تحت مدى القصف المدفعي الإيراني اليومي، الأمر الذي حوّلها مدينةً مواجهةً جبهويةً فعلاً، كما أوردنا آنفاً، وبدا أن هذه المدينة تشكّل حقاً نقطة ضعف الاستراتيجية الدفاعية العراقية، بما لها من أهمية استراتيجية خطيرة على التخطيط الدفاعي الاستراتيجي العراقي. يعود السبب الرئيس الذي جعل من البصرة نقطة ضعف استراتيجية خطيرة إلى إخفاق القوات المسلحة العراقية في تحقيق أهداف الاستباق الأولى، وهي إبعاد قوات العدو عن الأراضي والمدن العراقية، وعند مناقشتنا هذا الإخفاق في قاطع البصرة نرى أن الإخفاق في تحرير جزيرة الخضر (عبادان) وانهيار الدفاعات العراقية على مشارف الأحواز هما السبب الذي فتح المجال للقوات الإيرانية المتفوقة بالقوة البشرية، والمشحونة بروح الاستشهاد لاختراق حدود العراق في قاطع البصرة حتى نهاية الحرب.

من هنا انصبّ الجهد العراقي بلا كلل على إنشاء مانع دفاعي كبير ومعقد، يمنع الإيرانيين من اختراقه والوصول إلى البصرة أو

التفكير في تطويقها، لذلك أقام مانعًا دفاعيًا يعتمد على عمليات إغمارٍ للأراضي الواقعة على الحدود، فضلًا عن بحيرة الأسماك التي كانت تشكل المانع الرئيس تجاه العدو. وساعدت استراتيجية الإغمار في تقليل قدرة العدو على الهجوم الجبهوي واسع النطاق، كما ساعدت القوات العراقية في الاقتصاد بالقوة والجهد وتهيئة القطعات للهجوم المقابل الفوري، لحرمان العدو من الاستفادة من كلٍّ من المبادأة التي دأب على التمتع بها من جهة، ومن التفوق البشري الذي وظّفه بهجمات الموجات البشرية المتوالية التي تهدف كما هو معروف إلى إشباع المنظومة الدفاعية العراقية. كان تسلسل القدمات (Echelons) في الهجمات الإيرانية يعتمد على الأطفال والفتية لفتح حقول الألغام، يتبعهم الباسيج (قوات التعبئة) ثم الحرس الثوري ثم القطعات النظامية للجيش التي غالبًا ما تكون مدرعة أو آلية⁽⁴⁾.

أفادت سنوات الاستنزاف الإيراني الموجّه تجاه العراق القوات العراقية في تطويرها فكرها العسكري، ليتعامل مع نمط جديد وغير مسبوق من الأعداء الذين يتمتعون بالإصرار إلى أبعد الحدود، الأمر الذي جعل القيادات العراقية بالتتابع جاهزة للتعامل مع أي تطور يحصل في الجبهة. يقول ستيفن بليثير ورفاقه في كتابهم القدرة العراقية وأمن الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في معرض دراستهم وتحليلهم الحرب العراقية - الإيرانية بهذا

(4) أصدرت مديرية التطوير القتالي كتابًا عن تعبئة الموجات البشرية بقلم اللواء الركن علاء الدين حسين مكّي خماس.

الصدد: «وبالتحليل الشامل للأداء العراقي طوال فترة الحرب أثبت العراقيون أنهم خبراء في حل المعضلات، وكان ذلك واضحاً في إدارتهم وتعاملهم مع مرحلة الدفاع الساكن، إذ حاولوا تجنب المجابهة لحين سنوح الفرصة التي تساعدهم في توظيف المواقف لصالحهم»⁽⁵⁾.

تركز جهد القيادة العراقية في هذه المرحلة على إيجاد حلول عملية لمعضلة طول الجبهة وانفتاحها، ومحدودية القطعات القائمة بواجب الدفاع قياساً على طول الجبهة، وفق القياسات التعبوية العسكرية. فأوجدت حلولاً مرحلية، منها زيادة وتكثيف عدد الموانع الهندسية أمام الخطوط الدفاعية، ومن هنا جاء زرع مساحات كبيرة بحقول الألغام لاستيعاب موجات الهجوم بقوات المتطوعين الذين كان يقودهم رجال دين صغار المرتبة. ثم لجأت القوات العراقية إلى تعبئة (تكتيك) الإغمار، أي إغمار المناطق المفتوحة أمام القطعات وعلى أجنحتها بالمياه المتوافرة بكثرة لتقليص أطوال الجبهات. وغير ذلك من الإجراءات التي شكلت حلولاً عملية، لكن غير مثالية لمعضلة حقيقية كانت تعانيها القوات العراقية في الجبهة. وسيفرض عليها موقف التحول إلى التعرض في الأشهر الستة الأخيرة من الحرب ضرورة إزالة، أو تقليص عدد هذه الموانع، خصوصاً الإغمار لتأمين مرور القوات العراقية الهاجمة عبرها. وهنا من المفيد الإشارة إلى أن هذه مهمة اعتمدها

Stephen C. Pelletiere, Douglas V. Johnson and Leif R. Rosenberger, *Iraqi (5) Power and U.S. Security in the Middle East* (Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1990), pp. 35-36.

الفريق الخزرجي، وساعد جهد الدولة المدني الهندسي الكبير في تحقيقها بعمل إعجازي، من دون مبالغة.

وقع الإيرانيون نتيجة التنافس الحاد بين مؤسستي الجيش والحرس الثوري في خطأ قاتل عندما تخلوا عن استراتيجية الاستنزاف التي اتبعوها في مرحلة الحرب الثالثة، وعادوا إلى أسلوب الهجمات المباشرة على القوات العراقية، فأتاحوا للعراقيين الحرية في انتخاب الطرائق والأساليب اللازمة لمواجهتهم بحسب تطورات الموقف وكل حالة. من الأمور المعروفة في الحروب، خصوصًا الحروب الدفاعية التي تستغرق زمنًا طويلًا، أن كلا الطرفين المتحاربين سيتعرف إلى عوائد الآخر وطريقة تصرفه في موضعه الدفاعي، وسياقات الأعمال اليومية التي يمارسها. هكذا كانت تصرفات العدو مدروسة مرصودة بالنسبة إلى العراقيين، ولم تخطئ إلا في حالة واحدة، عندما حققت إيران مباغته تامة على المستوى العملياتي وتمكنت من احتلال الفاو في عام 1986⁽⁶⁾.

ناقش ديفيد سيغال ذلك في دراسته عن الحرب العراقية - الإيرانية المنشورة في صيف 1988 في مجلة شؤون خارجية. يعجب سيغال كيف أن 25 هجومًا نفذتها إيران على المواضع العراقية منذ عام 1982 لم تنجح في كسر الدفاعات العراقية بشكل جدي إلا في الفاو (1986)، وحلبجة (1988)، على الرغم مما أورده من أرقام التفوق الإيراني العددي (1:3) لمصلحتها. وعزا

David Segal, «The Iran-Iraq War: A Military Analysis», *Foreign Affairs*, (6) vol. 66, no. 5 (Summer 1988), pp. 947-952.

كثيراً من الإخفاقات الإيرانية إلى تدمير الخميني مؤسسة الجيش وإعدامه ما يقرب من 5000 من كوادر الضباط. وعلى الرغم من أن هناك شيئاً من الصواب في هذا الطرح، فإن ما فات سيغال هو أن الدفاع العراقي كان ناجحاً جداً في تصميمه على امتصاص زخم الهجمات الإيرانية وإجهاضها، بالاستفادة من الكثافة النارية الهائلة التي أمنتها المدفعية في ساحات القتال، ومنظومة الموانع الهندسية التي سبقت الإشارة إليها، وكذلك بسرعة ردات الفعل بتنفيذ الهجمات المقابلة لإزاحة العدو من مواقعه، قبل استقراره فيها وإنشائه مواضع دفاعية. كان الفشل في تأمين المتطلبات الدفاعية التي سبقت الإشارة إليها هو السبب الذي تمخضت عنه نكسة القوات العراقية في الفاو في عام 1986، وكذلك بطء ردة الفعل في تنفيذ هجمات مقابلة منسقة وسريعة، كانت ستتيح لها قلع العدو وطرده من الأماكن التي احتلها، قبل أن يُتاح له الاستقرار وإنشاء منظومة دفاعية يسهل الدفاع منها. هذا هو سبب الإخفاق في الفاو، إذ بوغت القوات العراقية وأخذت على حين غرة نتيجة المخادعة الكبرى التي تعرّضت لها الاستخبارات العراقية، وأشار الفريق الخزرجي في مذكراته إلى هذه الحالة بالتفصيل، وكيف أنه تحسّب من موقعه كمراقب وليس كقائد، وأبلغ زميله قائد الفيلق السابع بذلك. وبالنسبة إلى خسارة حلبجة أوضح في مذكراته أيضاً أن فشل القائد الميداني في الحفاظ على الأرض الحيوية في قاطعه الدفاعي (وادي زلم) كان السبب في انهيار دفاعاته وفي أسره.

مثّلت معركة الفاو شباط/ آذار - نيسان/ أبريل 1986 مرحلة

انتكاسة خطيرة للتخطيط العملياتي العراقي، كما أنها مثلت مباغته استراتيجية فائقة ستنعكس تداعياتها على الفكر الاستراتيجي العراقي وما سيتمخض عنه من تخطيط استراتيجي وعملياتي وتعبوي. وأشارت مذكرات الفريق الخزرجي إلى هذا الموضوع والملابسات التي أحاطت به، والمخادعة الاستراتيجية التي كان المخطط العراقي أحد عوامل نجاحها، إذ ثبت أن المخطط العراقي، خصوصاً عنصر الاستخبارات فيه انساق كما ذكرنا إلى معلومات مضللة، نقلها الأميركيون عبر جهات صديقة وشقيقة توهي بأن الإيرانيين سيجددون هجومهم الشامل عبر منطقة هور الحويزة لتطويق البصرة من الشمال والغرب، لذلك فإن آراء ألباها كاتب المذكرات عندما كان قائداً رديفاً لقائد الفيلق الرابع لم تجد أذاناً صاغية لدى القيادة العامة، وأصررت الاستخبارات على دقة معلوماتها، وبهذا ساهمت في نجاح المخادعة الاستراتيجية الإيرانية التي ساهم الأميركيون في تحقيقها، وهجمت إيران من مكان لم يكن متوقعاً ولم يكن مُدافعاً عنه بكثافة، ونجحت في احتلال الفاو وقطعت اتصال العراق بالخليج من جهة شط العرب، وهددت اتصال العراق بالخليج من جهة خور عبد الله، وأعلنت إيران أنها أصبحت بتماس مع دول الخليج العربية من مكانها هذا الذي احتلته.

كان لاحتلال الفاو في عام 1986 تداعيات خطيرة على كلٍّ من التوازن الاستراتيجي في الخليج العربي والموقف الجيوسراتيجي فيه لأن دول الخليج العربية التي كانت تعوّل كثيراً على قدرة العراق على احتواء إيران توصلت إلى قنوات جديدة بعد فشل العراق في إخراج إيران من الفاو. وكانت الكويت الأسرع إلى التحرك،

إذ بدأت بعملية استدعاء الولايات المتحدة الأميركية إلى الخليج العربي عبر اتفاقية تبديل العلم على ناقلاتها النفطية (Reflagging)، وذلك برفع العلم الأميركي عليها لتكون في حمايته، ومن هنا دخلت بحرية الولايات المتحدة الأميركية إلى الخليج العربي، وساهمت في هذه الحماية التي تصاعدت حتى قيام القوات الأميركية بتوجيه ضربات جوية/بحرية محددة إلى منشآت وناقلات إيرانية⁽⁷⁾. ومع ذلك نجد أن هنالك مبالغة من ناحية المحللين الأميركيين في إضفاء دور أساس على التورط الأميركي في الخليج العربي في القرار على نتيجة الحرب العراقية، وعلى الرغم من أن التورط الغربي في الصراع من جانبه البحري على الأقل، مثل معضلة جديدة أضيفت إلى معضلات إيران الكثيرة المتأتبة من لاعقلانية سياستها الخارجية، فإن هذا التدخل لم يكن هو السبب الحاسم في إنهاء الحرب، بل الفضل للتعرض العراقي واسع النطاق الذي أنهى الصراع بتدمير القوة العسكرية الإيرانية وقدرة إيران على مواصلة الصراع.

أذكر من مرحلة وجودي في الأركان العامة آنذاك كم كانت هذه المخادعة الإيرانية مؤلمة للقيادة العليا، وكم بذلت القيادة من الجهد والدماء في محاولة استعادة الفاو التي مثلت أتون استنزاف فائق، إذ دفع العراقيون دماءً غالية لاستعادتها من دون جدوى، وأذكر بالأم كيف أن سبعة آجري ألوية استشهدوا على ما سمي بمعركة العقدين 14 و 15 في المملحة، آخرهم ابن دورتي

Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern (7) War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*.

(دفعتي) الشهيد العميد اهتيمي نكه غيدان الدليمي، حتى قررت القيادة التوقف أخيراً عن هجماتها المقابلة لأنها تحولت إلى مقبرة للقوات الهاجمة. كانت أسباب خسارة العراقيين الفاو وفشلهم في استعادتها فوراً بهجوم مقابل (وهو ما كان يحصل في صد هجمات إيرانية على قواطع أخرى) ما يلي:

- صعوبة الأرض: فأرض الفاو رخوة ملحية تجعل الحركة عليها محددة بالطرق الممهدة والمعبدة، الأمر الذي يجعل الحركة خارجها صعبة للغاية ومنهكة.

-- بطاء ردة فعل القيادة الميدانية وعدم قدرتها على استيعاب الذي حصل ومداه، وانقطاع اتصالاتها بالقوات المدافعة في العمق، وعدم تأمين متطلبات قيامها بهجمات مقابلة بعد تبديل جبهتها من البحر نحو الداخل. وأضرِبُ مثلاً على ذلك لواء المشاة 101 الذي ظل يقاتل بعد انقطاع مواصلاته إلى أن نفذ عتاده (ذخيرته).

- لاستعادة الفاو لا بدّ من القيام بهجمات جبهوية على عدو متحصن بشكل جيد، ويمتلك النار المصوّبة، الأمر الذي يزيد خسائر القوات الهاجمة.

- استند الدفاع المعادي فوراً إلى منظومة السداد المحيطة بالمملحة، وهي سداد متقاطعة طوياً وعرضاً تحيط بأحواض تُجفّف فيها مياه البحر لاستخراج الملح. أطلق على نقاط تقاطع السداد اسم العقد ومُنحت أرقاماً. أتذكر كم ابتلعت العقدتان 14 و15 من خيرة شبابنا ضباطاً ومراتب، كما بينتُ آنفاً.

- استحالة المناورة الجانية ومناورة ضرب الجناحين، وما كان متاحًا هو عملية إنزال بحري فحسب خلف خطوط العدو، ولم يكن بالإمكان تنفيذها لعدم اكتمال التدريب عليها حينئذٍ.

- أنشأ العدو على عجل منظومة أبراج مرتفعة لتشرف على ترتيبات العراقيين الدفاعية، وللتعرف إلى نياتهم الهجومية والتعرضية.

اتخذت فورًا القرارات لإعداد ميدان المعركة في الفاو بشكل جديد وعلى أسس تخطيطية جديدة وبشر بها طوال المتبقي من عام 1986، وأوائل عام 1987، حتى تم التخلي عنها لأسباب فرضتها تطورات المواقف في الجبهة. صدر في هذه الفترة قرار مجلس الأمن رقم 598/1987 الداعي إلى وقف إطلاق النار الذي دعا الطرفين إلى التفاوض، وهو قرار قبله العراق توافقًا مع استراتيجيته في العمل على إنهاء الحرب بأسرع ما يمكن، ورفضته إيران، بل أصدر الخميني حكمًا بإنهاء الحرب لمصلحة إيران في ذاك العام. بدأت إيران تعرّضها على الجبهة العراقية بسلسلة عمليات أطلقت عليها اسم «كربلاء»، لما لهذا الاسم من معنى مقدس لدى الشيعة، باعتبار كربلاء هي أرض معركة الطف التي تمثل في الموروث الشيعي قمة الاستشهاد والتضحية والفداء.

نجحت سلسلة عمليات «كربلاء» في إحداث خروقات على الجبهة في الشمال والجنوب، وحقت اختراقًا واضحًا في الشمال عندما نجحت في احتلال قمم الجبال المشرفة على سد

دربندخان الاستراتيجي، ثم احتلال حلبجة، إلا أنها فشلت فشلًا ذريعًا في الجنوب عندما استهدفت البصرة بإحاطتها من جنوبها، بعد خرق الدفاعات العراقية المتمركزة في قاطع الفيلق السابع. ومثل فشل الخرق في جزيرة أم الرصاص جنوب البصرة فشلًا حقيقيًا للجهد الإيراني في احتلال البصرة. يشير بليتيير وزملاؤه بهذا الصدد إلى أن فشل هذه العملية «كربلاء 5» هو الذي رسم النهاية لقدرات إيران التعرضية وأفسح للعراق العمل على استعادة المبادرة⁽⁸⁾.

لعل من المهم هنا بيان أن هناك أعمالًا منظمة أخذت مسارها بالتوازي بهدف إحداث نقلة نوعية في التخطيط الاستراتيجي العراقي. أشار الفريق الخرجي في مذكراته مثلًا إلى مفصل مهم في هذه المرحلة، يتمثل بمجموعة الأفكار التي رأى بحق أنها ستكون كفيلة بإحداث تحول نوعي في المواجهة، وتُفضي بالنتيجة إلى إنهاء الحرب لمصلحة العراق. هذه الأفكار كتبها عندما كان قائدًا للفرقة السابعة وكان يفكر بها بصوت عالٍ في نقاشاته مع هيئة ركنه.

تشجع ويادر بالكتابة إلى القائد العام شخصيًا عنها، فنوه الرئيس القائد العام بها، وحث الفريق الخرجي على الكتابة له باستمرار، لكنه لم يتخذ أي إجراء محدد بصدها، إلى أن ذكّره الفريق الخرجي بها في أول مناسبة. استقبل القائد العام رئيس

أركانه الجديد (الفريق الخزرجي) في 17 تموز/ يوليو 1987، وأقرها فبدأت سلسلة متوازية ومتوالية لإعداد القوات المسلحة العراقية للحرب بفكر جديد، يحمل التعرض بين طياته. وبُذِل الكثير من الجهد لرفع كفاية الوحدات تدريبيًا، ولم يُسمح للعدو أبدًا بالتدخل في ترتيبات إعداد القوات في خروقاته وفاعلياته كلها حتى أخطرها، عندما احتل حلبجة وسلسلة شميران ومحاولته السيطرة على سد دربندخان في سعي إلى إغراق بغداد.

من أهم الخطوات المتخذة في هذا المجال وعلى صعيد التخطيط الاستراتيجي ضرورة الحصول على موقف جوي ملائم طوال فترة المواجهة، ومنع القوات الجوية الإيرانية المنهكة فعلاً من استعادة أنفاسها والتدخل في مجريات المعارك. نجحت القوة الجوية العراقية هنا في تأمين «سيادة جوية» على أرض المعركة ونفذت سلسلة من عمليات الإسناد الجوي القريب والإسناد الجوي التعرضي والتجريد (Interdiction) على ساحة العمليات. كما نجحت في تأمين موقف جوي ملائم على سماء الخليج العربي وصولاً إلى مشارف مضيق هرمز، إذ ضربت ناقلات إيرانية ومنشآت نفطية وبحرية في جزر لافان (Lavan) وسيري وغيرها، من دون تدخل ولو بسيط من القوات الجوية الإيرانية. لهذا الغرض تم تسليح سرب من طائرات الميراج (EQ-5) بالصواريخ البحرية (Exocet AM-39) لتُستخدم في هذه الواجبات. ولتلافي إشكالية عدم مساعدة المدى، تدربت القوات الجوية العراقية على عمليات الإرضاع الجوي التي نفذتها بكفاية عالية،

الأمر الذي نقلها إلى مستوى متقدّم بين القوى الجوية العاملة في المنطقة. ومن التدابير الممتازة التي قامت بها القوة الجوية العراقية في هذا المجال تطوير قدرتها الاستطلاعية والتصويرية لساحة العمليات، بعدما وُظِّفت طائرات الاستطلاع ميغ 25 أحسن توظيف لاستطلاع وتصوير أرض المعركة، الأمر الذي عزز نجاحات الاستخبارات العسكرية في هذا الصدد. فضلاً عن ذلك نجح التصنيع العسكري العراقي بالتعاون مع هيئة البحث العلمي للقوات المسلحة العراقية والقوات الجوية العراقية في تصنيع نموذج أولي ثم نهائي لطائرة استطلاع للإنذار المبكر عراقية (EWACS)، بتركيب صحن الرادار الدائري على ظهر طائرة بوينغ 747، وهو إنجاز كبير في حقل الحركات الجوية (Aerodynamics). وتم تصنيع طائرتين من هذا الطراز أخذتا تسمية «عدنان» و«عدنان 2»، إحياءً لاسم الراحل الفريق الأول الركن عدنان خير الله الذي قضى بحادث طائرة في عام 1989.

يعني هذا كله أن مدرسة الفكر العسكري العراقي الجديدة بدأت تؤتي أكلها. وهنا سيكون للفريق الخزرجي شأن مرموق في بعث هذه المدرسة فور تسنّمه منصب رئيس الأركان الذي يُعد الرئيس المهني الأعلى للقوات المسلحة والمستشار العسكري الأول للقائد العام للقوات المسلحة رئيس الجمهورية. وجرت وبشكل متزامن خطوات حيثية لإعادة تدريب التشكيلات المقاتلة على العمليات التعرضية، وعبور الموانع المائية، والتعاون بين تشكيلات بمقياس كبير (فرقة فأعلى). وتم التدريب على التنقل والمرونة في استخدام الطرق، وجرى تعظيم حجم ناقلات

الدبابات بالاستفادة من ناقلات جهد الدولة الهندسي المركزي التي تُستخدم لنقل المعدات الهندسية الثقيلة. كما وُجّه جهد الدولة الهندسي المركزي إلى إعداد ساحة العمليات وعمقها الإداري للمعارك المقبلة. فتحت هذه الإجراءات كلها المجال حثيثاً للمرحلة الخامسة والحاسمة من الحرب. ولاحظنا كيف ألقى الفريق الخزرجي ضوءاً على هذه الإنجازات.

الفصل الخامس

معارك التحرير الكبرى

- المرحلة الخامسة: استعادة المبادأة ومعارك التحرير وإنهاء الحرب

هذه هي المرحلة الحاسمة والنهائية في الحرب، المرحلة التي تقرر بها نهاية هذه الحرب الضروس التي استنزفت من دماء أبناء البلدين الكثير، من دون أن يكون للحكمة مجال في محاولة وضع حد لهذا الاستنزاف بسبب الأثر السلبي للتعصب والعناد الذي يتحمل البلدان مسؤوليته بشكل مشترك، لكن مسؤولية الجانب الإيراني هي الأكبر بالتأكيد.

بعد أن استفحل الخطر المحيق بالعراق جراء إصرار إيران على احتلال البصرة باعتبارها مفتاح الانتصار وإنهاء الحرب لمصلحتها، وبعد الاستنزاف الهائل الذي سببته معركة الفاو في عام 1986، اتخذت القيادة العراقية قرارًا صائبًا في تولية منصب رئاسة أركان الجيش العراقي لشخصية تتصف بالصفات التي تقود الجيش إلى الانتصار. وجدت القيادة العراقية أن أفضل من يتمتع بهذه الصفات هو الفريق الخزرجي الذي كان آنذاك قائدًا للفيلق الأول في شمال القطر ومسؤولًا عن العمليات في الجبهة المتاخمة لإيران، اعتبارًا من نقطة دخول نهر ديالى إلى الأراضي العراقية حتى المثلث العراقي التركي الإيراني.

وجد الفريق الخزرجي في اختياره لهذا المنصب فرصة لإعادة طرح ما سبق وفكر فيه، لإنهاء الوضع الراهن والخروج من دوامة الدفاع السلبي إلى عمل تعرضي يحرر الأراضي العراقية، ويُنهي الحرب لمصلحة العراق وبانتصار ناجز. من هنا اهتبل فرصة لقائه القائد العام للقوات المسلحة، وأعاد عليه أفكاره التي أرسلها إليه تحت عنوان «أفكار مقاتل في القادسية». فوجه القائد العام إلى العمل في ضوءها، وإلى المباشرة في إعداد الخطط اللازمة للتنفيذ، وإعداد وتدريب القوات على هذا الأساس.

توج الخزرجي فكره العسكري ومهارته القيادية في تخطيطه وقيادته عمليات التحرير الكبرى التي ختمت الحرب العراقية - الإيرانية. نجد هنا محطة مهمة يندر تصوّرها في تلك الأحوال، وتتم عن مدى الثقة التي كان الرئيس القائد العام للقوات المسلحة يوليها للفريق الخزرجي عندما قرر، بعد موقف قيادي معين، أن يخوّل كلاً من نائب القائد العام الراحل عدنان خير الله والفريق الخزرجي صلاحية القائد العام نفسه في ساحة العمليات التي تعني بالفعل إصدار الأوامر للحرس الجمهوري، ومسؤولية الحرس العملياتية الميدانية أمامه⁽¹⁾. كان ذلك واحداً من الدروس المستنبطة المهمة التي حققت النصر وهو التزام وحدة القيادة⁽²⁾. عرض الفريق

(1) انظر: Stephen C. Pelletiere, Douglas V. Johnson and Leif R. Rosenberger, *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East* (Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1990), p. 38.

(2) ربما كانت قراءاته الأولى لتجارب الحرب العالمية الثانية في معارك شمال أفريقيا ومقارنته بين السلوك القيادي للجنرال رومل والجنرال مونتغمري، وتأثره الواضح بالشخصية القيادية الفذة للجنرال أروين رومل أحد القادة العسكريين الأفاضل، هي البذرة =

الخزرجي في مذكراته صفحات هذه المرحلة من الحرب، وقد بلغت خمس صفحات، وابتدأت بتحرير مثلث الفاو الذي نجح العدو في احتلاله في عام 1986، بعملية اقترن فيها الفيلق السابع بالحرس الجمهوري والقوات البحرية العراقية في عملية مناورة تسترعي النظر، ألقى الخزرجي عليها الضوء.

كانت عملية «رمضان مبارك» (التي أشار إلى خلفية إطلاق اسم رمضان مبارك عليها) عملية اتسمت بالتخطيط الدقيق والمخادعة الاستراتيجية واسعة النطاق، التي لم توجّه إلى الخصم الإيراني فحسب، بل إلى الدول الكبرى أيضًا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية التي بدأت الشكوك في عدم حيديتها في هذه الحرب تتضح، بعد عملية سقوط الفاو بيد القوات الإيرانية (1986) كما أشرنا سابقًا، وأوضحها الخزرجي في ذكرياته. أذكر أننا كنا في قاطع السليمانية والفيلق الأول يتهيأ لعملية تحرير حلبجة حينما استدعي أعضاء القيادة العامة للقوات المسلحة (نائب القائد العام/ وزير الدفاع الذي كان مع القيادة العامة في السليمانية، ورئيس أركان الجيش ومعاونيه للعمليات ومدير الاستخبارات العسكرية العامة، وكنت معهم في الطائرة نفسها التي هبطت في المطار الدولي، وتوجهوا هم إلى مكان مجهول (اتضح من المذكرات أنه مسكن الرئيس)، وتوجهت إلى مقر الأركان العامة. بدأت عملية تحرير الفاو بعد 24 ساعة من هذا اللقاء، وتحررت

= الأولى التي أنشأت روح التعرض في الشخصية المهنية للفريق الخزرجي. للمقارنة بين النمطين القياديين أعلاه انظر: شكري محمود نديم، حرب إفريقيا الشمالية، 1940-1943، ط 5 (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1974).

الفاو بأقل من 36 ساعة ويعملية منسقة ومنظمة حققت أهدافها ورفعت معنويات القوات العراقية كثيرًا⁽³⁾.

تداعت بعدها أربع عمليات أطلق عليها «توكلنا على الله»، وجّهت أولها إلى الشلامجة، وهي ذلك القطاع من الأرض الحدودية العراقية التي تفصل بين شط العرب وبحيرة الأسماك، ويقع فيها مخفر الشلامجة الحدودي العراقي - الإيراني، نفّذت هذه العملية بوقت أبكر مما حُطّط له بأربع وعشرين ساعة، بعد تسرب توقيتها الأصلي إلى الإيرانيين من جانب الأميركيين عبر طرف ثالث كما يظن العراقيون. لم تتأثر لا الخطة ولا الأداء نتيجة هذا التقسيم، وتم إجهاض التعرض المقابل الإيراني وسبق آلاف الأسرى.

أسهب الخزرجي في وصف هذه العمليات الأربع بكل وضوح، ونظرًا إلى أنها العمليات التي أنهت الحرب العراقية - الإيرانية عمليًا في 8 آب/ أغسطس 1988، سنحاول بيان الدروس المستفادة منها استنادًا إلى ما جاء في المذكرات التي كتبها، والاستئناس بما كتبه الآخرون عنها. نحن نرى أن حصيلة هذه المعارك تمثل موقفًا مشرفًا للعسكرية العربية، قاتلت فيه بكل إصرار وعزم، وبتخطيط علمي مدروس، درّس عند أكبر وأقوى جيوش العالم أي جيش الولايات المتحدة الأميركية، وأصدرت المارينز (مشاة البحرية) كتابًا خاصًا عنه، كان أحد مراجعنا المهمة في إعداد تقديمنا التحليلي هذا. لم يكن هذا ليحدث لولا الأهمية

البالغة لدراسة تجربة العسكرية العربية هذه التي استرعت الأنظار إليها جملة أسباب أهمها⁽⁴⁾:

- إنها تجربة لحرب طويلة شهدت مختلف التطورات المتوقعة في أرض المعارك، من تقدّم وهجوم ودفاع وانسحاب، كما شهدت مختلف عمليات المخادعة والاستخبارات.

- إن المدى الزمني لهذه الحرب فاق المدى الزمني للحرب العالمية الثانية، الأمر الذي يجعل من الممكن دراسة وسبر أغوار التداعيات التي خلفتها على شعبي البلدين وجوارهما الإقليمي.

- صحيح أن هذه الحرب تورّط فيها البلدان المتحاربين، إلا أن بلداناً أخرى في المنطقة اكتوت بنارها، ومنها أقطار الخليج العربي وشملت تداعياتها العلاقات العربية - العربية، بعدما شهدت الحرب اصطفاًف بعض العرب إلى جانب إيران، وتأتي سورية في مقدّمهم، كما هي الحال مع ليبيا وبلدان أخرى.

- شهدت المرحلة الختامية من الحرب انتقال الصراع إلى مياه الخليج العربي، عندما فرض العراقيون الفائقية الجوية واستخدموا

(4) من التحليلات المعمقة والممتازة التي أجريت في الولايات المتحدة الأميركية التحليل الذي قام به أنتوني كوردسمان وأبراهام واجنر في سياق كتاب جامع لهما أصدره مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية في واشنطن (CSIS)، تناول الجزء الثاني منه الحرب العراقية - الإيرانية، وكان هذا الكتاب أحد مصادرنا لهذه الدراسة.

انظر: Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*.

الصواريخ (جو - بحر) في تدمير ناقلات النفط والمنشآت البحرية الإيرانية، كما شهدت بداية تورط الولايات المتحدة في الحرب البحرية بعد تعرّض سفنها الحربية للنيران الإيرانية.

- كانت العمليات الختامية للحرب البرية تمثل مناورات على المستوى العملياتي/ الاستراتيجي على مستوى متميّز من الدقة والمهارة في الأداء، الأمر الذي جعل من دراستها وتحليلها بل وتدريبها أمراً مطلوباً.

- تزايد العدوانية الإيرانية على الرغم من النتائج الكارثية كلها التي أحقت بها، الأمر الذي جعل دراسة الشخصية الإيرانية ودورها في القتال أمراً مهمّاً، وهو ما حدث فعلاً، إذ توجهت جامعات أميركية إلى تحليل دور المسجد الشيعي في الثورة ودور رجال الدين، وقدم الطالب الإيراني سيروس وكيل الزاد أطروحته هذه لجامعة ولاية كاليفورنيا. وتولت جامعة وسكنسن دراسة المرتكزات الاجتماعية للثورة الإيرانية في أطروحة بعنوان «تحليل اجتماعي للثورة الإيرانية» قدّمها ونال عنها الدكتوراه الطالب الإيراني منصور معدل⁽⁵⁾.

- في هذه الحرب استخدمت حزمة واسعة من الأسلحة غربية وشرقية، قاتل بها جنود الطرفين المتحاربين، الأمر الذي

(5) ترجمنا ليت الحكمة ببغداد أطروحة دكتوراه لطالب إيراني اسمه سيروس وكيل الزاد قدمها تحت عنوان «دور المسجد الشيعي في الثورة الإيرانية». وترجمنا أطروحة دكتوراه أخرى لطالب إيراني آخر هو منصور معدل تحت عنوان «تحليل اجتماعي للثورة الإيرانية». وأصدر بيت الحكمة الكتابين للتوزيع المحدود.

شكّل فرصة ممتازة لدراسة وتحليل أداء هذه الأسلحة وقدراتها وإمكاناتها. وتولّى البلدان المتحاربان تكييف وتعديل بعضها ومد وزيادة مدياتها لتلائم الاستخدامات المطلوبة في ساحة العمليات.

- لعل من إنجازات هذه الحرب عمليات المناورة الواسعة التي نفذتها القوات المسلحة العراقية بتحقيق اقتران قوات كبيرة (فيلق فأكثر) تقاثل بأنواع مختلفة من الأسلحة مختلفة المناشئ والخصائص، لتحقيق غاية واحدة هي النصر. ونجح العراقيون بشكل جيد في قَرْنِ أسلحة ذات منشأ سوفياتي بأسلحة ذات منشأ غربي (فرنسا والبرازيل وتشيلي والأرجنتين وجنوب أفريقيا وغيرها)، فضلاً عن الأسلحة الصينية التي كانت تُصنع على النمط السوفياتي. إن واحداً من التحديات الدقيقة مثلاً هو كيفية إدارة نيران المدفعية المختلفة المنشأ والمختلفة في جداول رميها في خطة نارية واحدة⁽⁶⁾. وهي معضلة تمكّنت المدفعية العراقية من أن تجد لها حلولاً ناجعة، وكان لنجاح المدفعية في تركيز نيرانها على أهداف حَسُنَ انتخابها، بناءً على معلومات استخباريّة دقيقة، شأن مهمّ في صنع نهايات ناجحة لمواجهة لمواجهات قتالية عديدة. وأشار المؤلف إلى محطات مهمة كان للمدفعية فيها شأن مهمّ في صنع النصر مثل معارك جوارته وماوت. فضلاً عن معارك التحرير الخمس النهائية حيث كان تنسيق نيران المدفعية والقوة الجوية، وحركة القطعات الهاجمة متميّزاً.

(6) انظر مثلاً الشكل (3.2) القسم الأول، (3.2) القسم الثاني من القسم الثاني من كتاب كوردسمان وواجنر الذي يبيّن تنوّع مصادر التسليح للطرفين في الأعوام 1987-1980: Cordesman and Wagner, vol. 2: *The Iran-Iraq War*.

الفصل السادس

تحليل أدوار القوات والصنوف (الأسلحة)

أشار الفريق الخزرجي في مذكراته إلى دور القوات (البرية والجوية والبحرية العراقية) في الحرب العراقية - الإيرانية طوال مراحلها أينما وجد ذلك مناسباً من زاوية تعاطيه مع الحدث في زمنه. ولضرورة إلقاء الضوء بشيء من التحليل العلمي على دور هذه القوات وأسلحتها (صنوفها) في هذه الحرب نجد من المناسب المرور عليها وتلمس المحطات والانعطافات المهمة التي واجهتها، وما اتخذ في السياق الزمني للحرب من إجراءات لتعديل أو تحسين أو تطوير الأداء أو المعدات أو كليهما.

أولاً: الحرب الجوية

تنقسم الحرب الجوية إلى أربع صفحات هي على التوالي:

- الصفحة الأولى: الضربة الإجهاضية الأولى وعمليات التجريد العميق.

- الصفحة الثانية: عمليات الإسناد الجوي التعرضي والإسناد الأرضي.

- الصفحة الثالثة: عمليات القتال الجوي البحري والتغلغل العميق.

- الصفحة الختامية: إسناد عمليات التحرير الكبرى الخمس.

بادئ ذي بدء، كان الموقف الجوي في مفتح الحرب العراقية الإيرانية يميل نظريًا على الأقل إلى جانب إيران، إذ كان لدى القوات الجوية الإيرانية 475 طائرة قتال، منها 209 طائرات فانتوم (F-4)، و80 طائرة Tomcat (F-14)، فضلًا عن طائرات (F-5). في حين امتلك العراق في ذلك الوقت 325 طائرة أغلبها سوفياتية المنشأ، ولم يكن لديه من الطائرات ذات المنشأ الغربي إلا عددًا من طائرات الهوكر هنتر العلامة 6 البريطانية. لكن المعلومات المرصودة لدى الاستخبارات العراقية بينت أن الوضع الفني ودرجة الاستعداد القتالي للقوة الجوية الإيرانية كانا متدنيين بسبب إجراءات التطهير التي تعرضت لها القوات المسلحة الشاهنشاهية، ومن ضمنها القوة الجوية. وكان هذا التحليل صحيحًا إلى حد كبير⁽¹⁾. ولو أنه لم يمنع القوة الجوية الإيرانية من أن تردّ وبمقياس واسع في اليوم الثاني من الضربة الجوية العراقية الأولى، الأمر الذي يعني تمكن القوة الجوية من تجاوز ما نتج من الضربة العراقية من خسائر، حين تم إصلاح المدارج وأعيد تشغيل القواعد الجوية عمليًا بحيث أتيح الرد الجوي المقابل في اليوم الثاني بعد الضربة، أي يوم 23 ومع الفجر الأول⁽²⁾.

G. Hossein Razi, «An Alternative Paradigm to State Rationality in Foreign Policy: The Iran-Iraq War,» *Western Political Quarterly*, vol. 41, no. 4 (December 1988), p. 711.

Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*, Part 8, p. 8.

بشكل وآخر كانت هذه الحرب صراعًا بين تقانتين من منشأين مختلفين، أحدهما شرقي سوفياتي يعتمد أساسًا على طائرات سلسلة ميغ (21,23,25,29) في واجبات الاستطلاع والقتال الجوي، وطائرات سوخوي (24 و 25) في واجبات الإسناد الجوي التعريضي والقتال الجوي الأرضي، وهذه الطائرات تُعد من الناحية التعبوية مكافئة لطائرات الهجوم الأرضي الأميركية (A-9 and A-10). وأضاف العراق بنجاح طائرات (Mirage F-1) إلى ترسانته الحربية، وتحوّلت في المراحل النهائية من الحرب لتكون المقاتلة الرئيسة في قواته، وامتلك منها خمسة أسراب، خصّص منها جهدًا للطيران البحري، عمل ووجد في تأمين الفائقية الجوية للعراق مقابل إيران، وتمكّن، من خلال استخدام تقانة الإرضاع الجوي، من الوصول إلى أهداف استراتيجية إيرانية تقع على مدخل الخليج الجنوبي الغربي قرب مضيق هرمز. فضلًا عن هذا الجهد ساهمت القاصفات الاستراتيجية العراقية من طرازي بادجر (Tu-16) و (Tu-22) بلايندر، فضلًا عن القاصفات الخفيفة (IL-28).

ساهمت الاستخدامات الإيرانية المسرفة لجهداتها الجوي، إبان التعرض الإيراني المقابل واسع النطاق في عام 1982، في استنزاف ذلك الجهد، وعمل نقص المعرفة المهنية وتأكل المتيسر منها نتيجة الخسائر والهروب واستلام العراق طائراته الجديدة من طراز (Mirage F-1)، في حصول العراق على الفائقية الجوية على أرض المعركة واحتفاظه بها حتى نهاية الحرب⁽³⁾. ولعل من

(3) المصدر نفسه، ص 27.

المفيد بيان أن العراق بيّن في بياناته أنه نفّذ 400000 طلعة جوية على الأراضي والمياه الإيرانية، وفي هذا دليل على تنامي القدرة الجوية العراقية، وبشكل متصاعد فور صد العراق الهجوم المقابل واسع النطاق الذي شنته إيران في عام 1982⁽⁴⁾، كما أن الحرب اختُمت ولم يتبق لدى إيران إلا 80 طائرة قتال، في حين تنامت القوة الجوية العراقية لتصل إلى نحو 500 طائرة قتال، ومن خلال إضافة تقنية نوعية جديدة مثلتها طائرات الميراج (F-1)⁽⁵⁾.

1 - الدروس المستفادة من الحرب الجوية

كانت الحرب الجوية العراقية - الإيرانية مجالاً ذا مدى زمني كافٍ للخروج بجملة استنتاجات تشير إلى دروس مستفادة من الاستخدام القتالي للقوات الجوية في هذه الحرب. وقبل أن نورد هذه الدروس على شكل نقاط، نرى أن الجانبين قاتلا ما بوسعهما بهدف حصول كل منهما على السيادة الجوية على ساحة المعركة، على الرغم من أن مفهوم السيادة الجوية لم يعد قيد الاستخدام في أدبيات القوات الجوية في ضوء تطوّر وتناظر وسائل القتال للدول المختلفة وصعوبة إخراج القوة الجوية المعادية من أجواء المعركة، لكن الذي جرى في القتال الجوي بين الطرفين أن سعي كل منهما إلى إخراج الطرف المعادي من أجواء المعارك تسبب في استنزاف واسع النطاق لموارد الطرفين. وفي ضوء مرونة الدبلوماسية العراقية

Jane's Defense Weekly (21 January 1989), p. 81.

(4)

Cordesman and Wagner, vol. 2: *The Iran-Iraq War*. (5)

والمصالح المترسّخة بين العراق وفرنسا، تمكّن العراق من تعويض النقص البارز في التقنية والاستنزاف اللذين تعرّض لهما سلاحه الجوي، بتأجير طائرات السوبر إندارد البحرية أولاً، ثم تعويضها بالطائرة ميراج (F-1) بأنواعها. وساعد نوعها البحري (F-1 EQ5) في فرض موقف جوي ملائم عراقي على الخليج العربي، الأمر الذي أتاح له استخدام هذه الطائرة المعقدة بكفاية ملحوظة.

وفي ما يلي أهم الدروس التي نرى أن القتال الجوي بين الخصمين أتاحها كدروس للمستقبل:

- للقوات الجوية تأثير كبير في الحرب، لكن تأثيرها على الدوام لم يكن حاسماً في رسم صورة نهائية للحرب. الجهد الجوي عنصر معاون للسلاح الوحيد القادر على رسم نتيجة المعركة بتواجده على الأرض فعلاً.

- كذلك، من الصحيح نجاح عمليات التجريد الجوي في إلحاق أذى كبير بالوضع السياسي الاجتماعي الاقتصادي في بلد الهدف، إلا أنه من الصحيح أيضاً أن نتائج هذا التجريد ستصب في تفكيك قدرة الخصم على التحلّل والمطاولة فحسب، حيث قُصف العراق بعنف في الحروب الثلاث التي عاشها في العقدين المنصرمين، إلا أنه لم يُجبر على اتّخاذ موقف الخاسر، إلا عندما وطئت أقدام الغزاة أرضه. في حين لم تنجح عمليات القصف المركزة بين الحربين (1991 - 2003) في أن تثني القيادة العراقية عن موقفها.

- يبدو أن البلدين - إيران على وجه التحديد - لم يتمكنوا من الاستفادة من التقانة العالية التي يتيحها التسليح الغربي المتوافر لديهما، فإمكانات طائرة التفوق تومكات (F-14) ليست قليلة، وتسليحها الرئيس المتيسر لدى إيران وهو صاروخ فونيكس (Phoenix)، صاروخ ذو خصائص متقدمة، وأجهزة الحرب الإلكترونية المحمولة عليه متفوقة، لكن لم ينفع لسوء الخزن وانعدام الصيانة بسبب مغادرة أفراد الصيانة الأميركيين بعد الثورة. وكانت لدى العراقيين مشكلات في التعرف الراداري والتوجيه في المراحل الأولى من الحرب، وتمثل عملية ضرب المدفئة الأميركية ستارك من جانب القوات العراقية مثلاً عليها، فلم يكن بين القوة الجوية العراقية بمهامها البحرية وبحرية الولايات المتحدة أجهزة تميز العدو من الصديق (FFI). وتلافت القوة الجوية العراقية نقاط الضعف في التوجيه والتميز ومعالجة الأهداف على البحر، وهي مهام لم يسبق لها التدريب عليها والقيام بها.

2 - طيران الجيش

في بداية الحرب لم يكن سلاح طيران الجيش قد تبلور بشكل واضح، على الرغم من وجود معين من الطائرات السمتية (الهليكوبتر)، كان أغلبها من الطراز الروسي (السوفياتي)، (Mi-6) التي كانت تُستخدم لأغراض النقل، وكانت تشوبها تحديدات فنية معينة عند استخدامها، خصوصاً في أحوال درجات الحرارة المرتفعة. لكن مع اندلاع الحرب سعت القوات المسلحة العراقية

إلى الحصول على ترسانة من الطائرات السميّة لتعزيز أسطول طيران الجيش.

لعل من أهم هذه الطائرات طائرة السوبرفريلون الفرنسية الصنع المسلحة بحاملتين لصواريخ أكسوسيت (AM-39) جو - بحر، وتشكّل سرب الطيران البحري من هذه الطائرات، وأبّلت بلاء حسنًا في المراحل الختامية من الحرب بعد أن عانت معها هيئة الركن البحرية صعوبة التمييز والتعرف إلى طبيعة الأهداف الإيرانية الظاهرة على الرادار في مراحل الحرب الأولى.

من أهم ما تيسر للقوات المسلحة العراقية من طائرات سميّة (هليكوبتر) مقاتلة، طائرتا (Mi-24) و (Mi-25) السوفياتيتين المسلحتين جيدًا للقتال الجوي الأرضي من ناحية كونهما مسلحتين بصواريخ (UB-32)، لضرب الدروع والتحصينات، ورشاشة مثبتة على مقدمة الطائرة لقتال الأفراد. وكذلك طائرات غزال (Gazelle) الفرنسية المسلحة بصاروخ هوت (HOT) وطائرات (MBB Bo 105) المسلحة بصاروخ هوت أيضًا.

عملت طائرات طيران الجيش في واجبات الإسناد القريب للقطعات البرية كمدفعية متنقلة مرنة وسريعة الحركة ومؤثرة. وامتلكت إيران أيضًا طائرة الغزال وبالتسليح نفسه في المراحل الأولى من الحرب.

ثانيًا: العمليات البحرية

يتشارك العراق وإيران في البحر الإقليمي من ناحية ملكيتهما المشتركة مداخل شط العرب على وفق اتفاقية الحدود الموقعة

في أيلول/ سبتمبر 1975 المعروفة باتفاقية الجزائر، وعلى الرغم من محدودية البحر الإقليمي العراقي، فإن وجود منشآت التصدير النفطية العراقية العميقة (Offshore) في ميناءي البكر وخور العمية وضع مهمة شاقة على عاتق البحرية العراقية محدودة التسليح، بسبب محدودية البحر الإقليمي، لذلك نجد أن التسليح البحري العراقي لم يكن إلا تسليحًا ساحليًا يتولى مهمات الدفاع الساحلي من جهة البحر والمرتكز على 12 زورق صواريخ من طراز كومار السوفياتي، المسمى بالمشروع 205 والمسلح بأربع قواعد إطلاق لصواريخ سطح - سطح البحرية من طراز (P-15) ذات المدى نحو 100 كلم. وكان لدى العراق عدد من زوارق الطوربيد رباعية القواعد من طراز شيرشين السوفياتية، وثلاث سفن مقاومة الغواصات، وكاسحتا ألغام ساحليتان سوفياتيتان، وعدد من كاسحات الألغام الداخلية اليوغوسلافية المنشأ. وامتلكت البحرية العراقية ثلاث سفن إنزال وفرقاطة تدريبية.

لم تكن هذه القطع البحرية لتشكل تحديًا حقيقيًا للبحرية الإيرانية، عدا ضربات عديدة لزوارق الصواريخ، وتعرض هذه الزوارق لضربات إيرانية من زوارق صواريخ إيرانية كانت مسلحة بصاروخ هاربون الأميركي، ومن الطائرات الإيرانية.

أدركت القوات البحرية العراقية نقاط ضعفها البيئية في العمل القتالي، وعدم قدرتها بتسليحها الراهن على القيام بتنفيذ المهمة الموكلة إليها، فعملت هيئة الركن البحرية العراقية وبإشراف وتوجيه قائد القوة البحرية والدفاع الساحلي اللواء البحري عبدو

الديري الذي يُعد المؤسس الفعلي للقوة البحرية، على إعداد دراسة تحليلية مفصلة لمسرح العمليات البحرية العراقي، وتوصلت في ضوء هذا التحليل إلى الخلاصات التالية التي تحوّلت توصياتٍ أقرتها القيادة، وباشرت البحرية بالتحول من بحرية ساحلية إلى بحرية أعالي بحار حقيقية.

- إن مسرح عمليات الخليج العربي هو مسرح عمليات بحرية شبه مغلق، لا يلبي العمل البحري فيه تحقيق المصالح القومية العراقية في البحر ولا الدفاع عنها.

- إن تحقيق المصالح البحرية العراقية يقتضي التواجد بفعل واضح قادر على الردع في منطقة تقع خارج خليج عمان والخليج العربي.

- لذلك سيقسم مسرح العمليات البحري العراقي مسرحين يضمّ أولهما الخليج العربي لغاية مضيق هرمز (داخل)، والآخر مسرح عمليات البحر العربي الذي يبدأ من خارج مضيق هرمز في خليج عمان ويستمر إلى البحر العربي (أعالي البحار).

- يتطلب الأمر إعادة النظر في تنظيم وتسليح القوة البحرية العراقية بشكل جذريّ وتسليح حديث، وصرف النظر عن انتظار أن يجهّزنا الاتحاد السوفياتي بتسليح بحري حديث، لأن عروضه التسليحية كلها لم تكن لتلبي الطموح الذي يتطلبه التنظيم الجديد.

- من هنا تم اتخاذ جملة إجراءات، منها وضع متطلبات التسليح والتفاوض عليه مع الفرنسيين أولاً، ثم مع الإيطاليين

الذين تم التوصل معهم إلى اتفاقية تسليح بحري حديث لتجهيز أسطولين، أحدهما سيتولى المنطقة (أ) (مسرح عمليات الخليج العربي) وسيعتمد على تجهيز البحرية بسفن حراسة عددها 6 مسلحة بصواريخ أوتومات، مع طيران بحري أساسه طائرات أوغوستا السمتية المسلحة هي الأخرى بصواريخ أوتومات. ونواة لأسطول أعالي البحار أساسه التجهيز بفرقاطات من طراز (لوبو LOPO) المجهزة بالصواريخ نفسها. ولكل من الفرقاطات وسفن الحراسة القدرة على حمل وتشغيل طائرة سميت بحرية مسلحة على ظهرها. وتم التعاقد بالعقد الضخم نفسه الذي كلف في حينه نحو مليار ونصف المليار دولار بأسعار عام 1979 على سفن الإسناد الفني والإداري كلها. وبوشر بالبناء، وإرسال الطواقم لمواكبة البناء والإشراف عليه والتدريب في جهد متميز لم يكتب له النجاح بسبب اندلاع هذه الحرب وامتناع إيطاليا عن تسليم الأسطول. كانت نتيجة الحرب ستختلف لو كان هذا التسليح متيسراً للعراق. وهنا ومن باب إسناد الفضل إلى أهله، لا بدّ من بيان أن الأب الروحي لبرنامج التحديث البحري الذي كان مدرّساً وموجّهاً لجيلنا من الضباط البحريين الشباب، والذي، كما ذكرنا، يُعد بحق المؤسس الحقيقي للقوات البحرية العراقية، كان اللواء البحري عبدو الديري الذي مثل توأمة حقيقية للبحرية العراقية والبحرية العربية السورية التي كان رئيس أركانها في مرحلة معينة. كما أن من المهم بيان الدور البناء الذي قام به الأساتذة البحريون المصريون الذين قاموا أولاً في منتصف الستينيات بإعداد تقدير موقف مهم لتطوير البحرية العراقية، وهو ما طوّره اللواء الديري في ما بعد، ثم تولت البحرية

المصرية إعداد الكادر الضباطي الشاب الذي تحوّل إلى قيادة البحرية وقطعاتها في فترة الحرب العراقية - الإيرانية.

- في المجال نفسه تم التعاقد مع فرنسا لتأمين قوة جوية بحرية لتأمين موقف جوي بحري ملائم على الخليج العربي. نجح العراق في هذا المجال بحصوله على طائرات الميراج (F-1) وطائرات السوبرفريلون البحرية المسلحة بصواريخ جو - بحر أكسوسيت (AM-39).

- ومن ناحية أخرى شكّلت عقدة قيادية لجهد الدفاع الساحلي الذي استند إلى لواء أو لوائي دفاع ساحلي وكتائب مدفعية للدفاع الساحلي موجهة بالرادار، وصواريخ دفاع ساحلي من طراز سلك وورم (HY-2 Silk Worm) الصينية.

نجحت البحرية العراقية في أن تثبت وجودها طوال فترة الصراع على الرغم من محدودية حجمها وقدراتها وإمكاناتها، لكن الدور الأكبر الذي نفّذته وبتحدٍ كبير هو نجاحها في الإنزال بلواء بحري خلف خطوط العدو على ساحل خور عبد الله ضمن عمليات «رمضان مبارك». كان دور البحرية على صغر حجمها ومحدودية تسليحها، دورًا متميزًا. وإن كانت الحرب العراقية - الإيرانية السبب الأول الذي كبح المشروع التطويري البحري العراقي، على الرغم من استمرار التواجد الكثيف لأفراد وفنيي البحرية العراقية في لاسبيزيا بإيطاليا، لمتابعة تنفيذ المشروع التطويري البحري، فإن مماثلة الجهات الإيطالية في سعي ممنهج إلى منع العراق من الحصول على سفنه المقاتلة التي تعاقد عليها، كانت السبب الثاني

في إعاقة المشروع. هكذا مات المشروع التطويري البحري العراقي موتاً سريرياً بعد حوادث الكويت، إذ قُطعت إقامة وتدريب البعثة الفنية الإشرافية والتدريبية العراقية في إيطاليا وأعيد أفرادها إلى العراق. ولا نعلم ما الذي جرى بالمبلغ الذي دفعه العراق من العقد والبالغ نحو 1.4 مليار دولار أميركي بأسعار عام 1979.

ما يسترعي الانتباه أن المحتل جهّز ما تبقى من البحرية العراقية بزوارق خفر سواحل خفيفة، بعد أن استحوذت الكويت على القاعدة البحرية العراقية الواقعة على رأس الخليج العربي، التي تحمل اسمه، وتم التضييق على الفسحة المحدودة من البحر الإقليمي المتبقية للعراق بعد تعديل الحدود مع الكويت من جانب مجلس الأمن.

ثالثاً: حرب الصواريخ

دخلت الصواريخ الباليستية الصراع باعتبارها أحد العوامل التي حاول الطرفان من خلالها إحداث تغيير استراتيجي في مجرى العمليات، ووسيلة للوصول إلى النتيجة النهائية التي سعى إليها في وضع نهاية للحرب تلبي أهداف وطموحات كل منهما.

قبل الدخول في تفاصيل هذا الاستخدام نرى من الضروري التعرف إلى هذه الصواريخ ومصادرها. كانت الصواريخ ذات المنشأ السوفياتي من طرازي فروغ (FROG) وسكود هما السلاحان اللذان استُخدما بنطاق واسع في هذه الحرب. ولعل العراق بدأ باستخدام صاروخ فروغ في الجبهة لضرب التحشيدات المعادية وبالأخص

في جبهة ديزفول والخفاجية - البستين (الفيلق الرابع). وبلغ مدى صاروخ (9K52 Luna) المعروف لدى الناتو باسم (Frog-7) نحو 60 - 70 كلم، ويزن رأسه الحربي نحو 450 - 550 كلغم. يتميز هذا الصاروخ بعدم دقة إصابة الهدف، استعمله العراق بكثافة حيال الأهداف العسكرية في العام الأول من الحرب، إلا أنه اضطر إلى تحويل استخدامه ضد المدن عندما بدأت إيران هذه الحرب ضد العراق. وكدليل على ذلك أصاب هذا الصاروخ ضاحية إندمشك الصغيرة نسيًا، في حين على ما يبدو أن العراقيين استهدفوا مدينة ديزفول المجاورة والأكبر والأكثر أهمية⁽⁶⁾.

على الرغم من محدودية عدد صواريخ سكود (R-17 Scud-B) التي كانت تتوافر للقوات المسلحة العراقية في بداية الحرب، إذ لم يكن لديها إلا تسع قاذفات سكود منظمة بكتيبة صواريخ لم تكن جاهزة للاستخدام القتالي إلا في تشرين الأول/أكتوبر 1982، بدأ استخدام أول صاروخ في السابع والعشرين من الشهر المذكور. يُعد هذا الصاروخ من الصواريخ التي عوّل عليها الاتحاد السوفياتي السابق في فترة استعار الحرب الباردة، وكان أدخله إلى الخدمة في عام 1967 في الميدان الأوروبي، تحت مسمى (R-17E, R-300) وتُبين التسمية الأخيرة مداه أي نحو 300 كلم. والصاروخ هو صاروخ بالستي يعتمد في توجيهه نحو هدفه على ثلاثة جايروسكوبات، تتولى تحديد زاوية الارتفاع والانقضاء ومنحني الطيران والمدى، كما يحوي معدات توجيه داخلية تعتمد

النفت النافوريّ لقيادة الصاروخ في أثناء مرحلة الطيران، من هنا فإن هذا الصاروخ أكثر تطورًا وتعقيدًا من صاروخ فروغ (لونا) الذي يُعتبر بدائيًا قياسًا عليه. يُسجّل للعراق أنه أطلق سلسلة من هذه الصواريخ يبلغ عددها الإجمالي 361 صاروخًا، شهد منها عام 1988 وهو عام الحسم النهائي 193 إطلاقًا. هدف العراق من استخدامه هذه الصواريخ التي بدأ الجانبان استخدامها ضد مدنيي الطرف الآخر، إلى تدمير الروح المعنوية للطرف المعادي. لهذا كانت أهداف العراق الأولية المدن الإيرانية التي تقع خلف خط القتال، والمُستخدمة كمناطق تحشد وانطلاق للمتطوّعين المدنيين (الباسيج) بقيادة رجال دين صغار، وكان الجميع وقودًا لهذه الحرب. لذلك كانت الأهواز وديزفول وخرم آباد وبروجورد أهدافًا دائمة للضربات العراقية. ومع ذلك استهدف العراقيون مدناً في العمق الإيراني وصولاً إلى طهران وقم المركز المقدّس ومقرّ الحوزة العلمية الشيعية في إيران، بعد أن نجحوا في تطوير صاروخ سكود ليصل إلى مدى 600 كلم، وسقّوه باسم أقدس أئمة الشيعة رمز التضحية وهو الإمام الحسين ليرمز إلى أنهم يضربون الإيرانيين برمزهم الثاوي في كربلاء في العراق، ثم ما لبث التصنيع العسكري أن أوصل المدى إلى 950 كلم وسمّى هذا الطراز الجديد «العباس» الأخ غير الشقيق للإمام الحسين الذي استشهد معه في معركة الطف - كربلاء، ويحمل هو الآخر معنىً رمزيًا لدى الشيعة في كل مكان.

يبدو أن عملية التطوير التي أعطت العراق يدًا عُليا ومرونة في استهداف مراكز التجمّع السكانية الكبرى، أخذت بالحرب إلى

كل بيت في طهران بعد أن عاشت سبع سنوات من سني الحرب الثمانية وهي بعيدة عن تأثيراتها المباشرة، في حين كانت بغداد والبصرة وكركوك والموصل في قلب هذه المواجهة.

يبيّن أحد المصادر أن عدد الصواريخ العراقية من طراز «الحسين» التي أطلقت على طهران كان نحو 160 صاروخاً برأس حربي يزن نحو 190 كلغم، أي إن طهران تعرضت لأكثر من ثلاثين طناً من المتفجرات خلال الأسابيع السبعة الحاسمة التي أنهت الحرب⁽⁷⁾. وعلى الرغم من أن هذا الرقم يُعد متدنياً مقارنة بما أُلقي على منطقة هانوي - هايفونغ في الحرب الفيتنامية والذي بلغ 20000 طن، حدث التأثير المطلوب، أي الإخلال بمعنويات الجماهير والتأثير سلّبا في الروح القتالية والعزيمة والرغبة في الفداء والاستشهاد التي امتاز بها المتطوّع الإيراني طوال فترة الحرب، فهو كان يتقدّم ماشياً يدوس على زميله الذي استشهد قبله جاعلاً منه منصة له ليقترّب من كربلاء⁽⁸⁾... وكحصيلة يمكن اعتبار هجمات العراق بصواريخ «الحسين» في ربيع وصيف 1988 جزءاً منفذاً بحذاقة من خطط معارك التحرير الكبرى التي ختمت هذه الحرب. كان بعض المحلّلين والدارسين العسكريين قد بيّن في أوراق بحثية أن الستين يوماً التي استُخدمت فيها الصواريخ في حرب المدن ضد إيران حققت أكثر مما حقّقته القوات الجوية العراقية في خمس

Thomas McNaugher, «Ballistic Missiles and Chemical Weapons: The (7) Legacy of the Iran-Iraq War,» *International Security*, vol. 15, no. 2 (Autumn 1990), p. 11.

Cordesman and Wagner, vol. 2: *The Iran-Iraq War*, pp. xiii, 35 and 37. (8)

سنوات من عمر الحرب، وجعلت المدنيين الإيرانيين يشكون في قدرة نظام طهران على حمايتهم⁽⁹⁾.

أما إيران فبدأت استخدام صواريخ سكود متأخرة نسبيًا عن العراقيين، وإن كانت قد استخدمت سكود - بي قبل استخدامها صواريخ إيرانية الصنع محوَّرة، أطلقت عليها اسم «عقاب». حصلت إيران على كميات من صواريخ (Scud-B) من سورية وليبيا البلدين العربيين اللذين شذَّا عن الإجماع العربي المؤيد للعراق في موقفه من الحرب، ثم ما لبثت وحصلت على 100 صاروخ (Scud-B) من كوريا الشمالية أوائل عام 1988، وضربت منها سبعين صاروخًا مستهدفة بمعظمها بغداد⁽¹⁰⁾. وعلى الرغم من أن إيران كانت تتميز على العراق كثيرًا في الموقف الجيوبوليتيكي، فمدن العراق كلها كما سبق وذكرنا تقع على العموم ضمن مديات الصواريخ الإيرانية، وتقع البصرة ضمن مديات مدفعيته المتوسطة والثقيلة، لم تتمكَّن من الاستفادة من عنصر الفائقية الجيوستراتيجية العالي في حربها مع العراق، ربما لغياب العقلية ذات القدرة على التخطيط الاستراتيجي القويم. ويمكن القول وبكل ثقة إن استهداف إيران البصرة طوال فترة الحرب، واستهدافها المدنيين في مدن الجنوب وجلهم من العرب الشيعة أتى بأثر عكسي، جعل من هؤلاء الذين كانت تسعى إلى كسب ودهم وأخذهم إلى جانبها،

W. Jack Dees, *Iraqi Military Effectiveness in the War with Iran*, Middle (9) East Special Studies, 1989-1991 supplement; 4. Special Studies Series (Newport, RI: Naval War College, [1990]), p. 17.

McNaughton, p. 10.

(10)

يقفون منها موقف المتوجس الذي يتفهم خطاب السلطة في العراق بأن المستهدف إيرانيًا من هذه الحرب، هو العراق دولةً وكيانًا، وليس مجرد شخص الرئيس ونظام الحكم. وهذا ما يفسر القتال الشرس الذي خاضه الجندي العراقي بعد تحول العراق للدفاع وانسحابه من الأراضي الإيرانية في عام 1982.

الدروس المستفادة من حرب الصواريخ

- شُنت هذه الحرب من الطرفين لإحداث تحوّل جذري في قناعات المدنيين تجعل منهم إما مناصرين للطرف الآخر وإما محايدين. وفشلت إيران في هذا فشلاً ذريعاً، إذ لم تستطع تحويل قناعات العرب العراقيين الشيعة إلى جانبها، حتى في أضعف المراحل التي مرّ بها النظام والوضع العسكري العراقي في أعوام الانسحاب العراقي من الأراضي الإيرانية والتعرض الإيراني واسع النطاق على الجبهتين الجنوبية والوسطى في عام 1982، واحتلال الإيرانيين الفاو في عام 1986.

- على الرغم من أن التأثير التدميري لهذه الصواريخ محدود، فإن تأثيراً نفسياً تذبذب بين مرعب في أوائل أيام الاستخدام، واعتيادي في مرحلة الاستنزاف، وما لبث أن تصاعد في أيام الحرب الأخيرة عندما وصلت الصواريخ إلى الداخل الإيراني، فصار تأثيرها مرعباً.

- كان بإمكان إيران أن تؤثر تأثيراً أكبر في المدنيين العراقيين

لو أنها استفادت مما قدّمته لها الجغرافيا من قرب للتركيز السكاني العراقي من حدودها.

- حقق العراق بتطويره مديات صواريخ (Scud-B) لتصل إلى طهران وقم وأصفهان مباحثة استراتيجية أتت بنتائج ممتازة لمصلحة التخطيط العراقي العام لإنهاء الحرب لمصلحته.

- استُخدمت هذه الصواريخ بالرؤوس التقليدية ولم يُسجل استخدامها لحمل الرؤوس الكيماوية طوال الحرب.

- كانت الحرب دافعاً للطرفين إلى تطوير هذا السلاح، الأمر الذي ستكون له انعكاسات مهمة في المستقبل على الاستقرار الإقليمي.

الفصل السابع

الدروس المستنبطة من هذه الحرب

لعله من الصعوبة بمكان سبر أغوار حرب طويلة ومعقدة مثل الحرب العراقية - الإيرانية التي طالت أكثر مما يجب، والتي أدت العواطف والأيديولوجيا فيها دورًا كبيرًا، واقتربت من أن تتحوّل حربًا عامة استخدم فيها الطرفان كل ما كان بأيديهما من تقانة وتسليح، وكلّ ما تمكّنت الآلة الدعائية عند كل منهما والشحذ المعنوي والتأليب العقائدي على فعله لتجنيد الآلاف من شباب البلدين للقتال، في حرب بدأت نزاعًا حدوديًا وأيديولوجيًا، وانتهت حربًا على الدرجات والصعد كافة. ومع كل هذه التعقيدات كانت المهنية العسكرية حاضرة لتقوم بواجبها في وضع كان الوطن فيه مهددًا في وجوده وتراثه وهويته. يمكننا من خلال التحليل المعمق التعرف إلى هذه الدروس، وسأركّز على الأداء العراقي الذي كان موضوع مذكرات الخزرجي، مع الإشارة إلى الأداء الإيراني في المواقع التي تستدعي ذلك.

أولاً: الدروس

- الغاية الوطنية: تمثّل الغاية الوطنية الرسالة التي تؤمن بها الأمة وتبني على أساسها مرتكزات سلوكها في المجتمع الدولي من جهة، وأسس بنائها قدراتها وإعدادها لأجيالها من جهة أخرى.

وإذا ما دققنا النظر في الغاية الوطنية لكلا البلدين المتصارعين سنجد أن الغاية الوطنية للعراق كانت الإيمان بوحدة الأمة العربية من محيطها إلى خليجها، والعمل الدؤوب للوصول إلى هذه الوحدة ولو على مراحل. ووجدنا كيف أن الخرجي أشار في مذكراته إلى ما كان يفكر به الرئيس القائد العام من رؤية لمستقبل الأمة في لقاءٍ جمعهما معًا. وكان للقضية الفلسطينية مكان مركزي في الغاية الوطنية العراقية، وصُمِّمت الدولة وأجهزتها على أساس رفع الحيف والظلم الذي أحاق بالأمة نتيجة زرع الكيان الصهيوني كنبئةٍ غير مرحَّب بها وفي بيئةٍ ليست بيئتها. وهنا أيضًا أشار المؤلِّف إلى رؤية القائد العام تجاه الصراع العربي - الصهيوني التي استمع إليها في اللقاء نفسه آنف الذكر. ما تبقى هو مسؤولية الدولة عن بناء الأجيال بناءً سليمًا وتربية جيلٍ مؤمن بالله وبرسالاته. وكان الحفاظ على وحدة التراب العراقي وسلامته الإقليمية ركنًا مهمًّا من أركان الغاية الوطنية العراقية. لم يكن في هذه الغاية الوطنية والسياسات والاستراتيجيات التي انبثقت منها ما يشير من قريب أو بعيدٍ إلى عداءٍ موجهٍ إلى إيران ككيانٍ أو شعب. كما أنه لم تكن للعراق مشكلة مع الخميني نفسه الذي تمتع بضيافة العراق أربعة عشر عامًا، في عشرة منها كان العراق تحت حكم البعث. ولم يحاول العراق مرةً مجرد الطلب أو الضغط على الخميني لإصدار بيانٍ يدين فيه موقف الشاه من العراق أيام التدخل الإيراني في الشأن العراقي، لذلك لم يكن العراق ينظر إلى إيران كعدوٍّ أبدًا، بل باعتبارها بلدًا مسلمًا جاريًا، لكن هناك مشكلات حدودية معه وأخرى تخصُّ علاقاته العربية مثل قضية الجزر، وكان العراق يرمي

إلى حل هذه الخلافات بالطرائق السلمية. على العكس كانت إيران في أيام الشاه تفكر بعقلية إمبراطورية مزعومة، لا وجود لها على أرض الواقع، ولا توجد آفاق حقيقية لتحقيقها. وفي أيام الثورة الإسلامية كانت تفكر على أساس إسلامي أممي بصفتها وليّة أمر المسلمين، وهنا كان العراق في مركز اهتمامها، وكانت رسالتها واضحة، وتتمثل في قلب نظام الحكم واستيلاء حلفائها عليه، وإقامة الجمهورية الإسلامية فيه. وهو أمر حققه لها الأميريون في ما بعد، وأطلقوا أيدها في العراق بحيث أصبح الحال على ما نرى. من هنا كان العداء. انطلق العراق نحو المطالبة بأراضيه التي اعترفت المعاهدات والاتفاقات المعقودة بينه وبين إيران بعائدتها إليه، وبالمقابل انطلقت إيران الخميني بالتحريض على الثورة الإسلامية في العراق وتصدير الثورة إليه كأول هدفٍ سهل بعده نشرها في الخافقين. هذه هي الخطورة التي تشكلها الغاية الوطنية لأي بلد على سياسات واستراتيجيات البلد المعني في علاقاته الدولية والإقليمية. أثبتت الحرب العراقية - الإيرانية والعملية الاستباقية التي شنتها العراق أن الخطورة التي كان نظام الحكم العراقي يتحسّسها من تصدير الثورة هي خطورة في مكانها، بعد أن سهّل الأميريون لإيران الاستيلاء الفعلي على مقاليد الأمور في العراق بتسليم حكمه لحلفائهم.

- مبادئ الحرب: مبادئ الحرب هي دستور المهنية القتالية العسكرية، لازمت أعمال المفكرين العسكريين منذ صن تسو حتى ليدل هارت إلى الوقت الراهن. في الحرب العراقية - الإيرانية كانت المبادئ الحاضرة هي انتخاب وتوخي الهدف والتعاون

والمباغطة والمعنويات والعمل التعرضي والتحشد والمرونة والاقتصاد بالجهد والأمن والشؤون الإدارية. هذا بحسب العقيدة القتالية البريطانية التي يتبعها العراق. إذا ما حاولنا تتبع أين نجحت وأين أخفقت القيادة العراقية في هذا المجال؟ سنجد أن توخي الهدف لم يكن واضحًا في الصفحة الأولى من الحرب، لم يتم الدخول إلى الأراضي الإيرانية، ولم يتم الانسحاب منها، وما هي الأسباب؟ كل هذا كان مبهمًا. كما أن هدف الحرب لم يكن واضحًا أيضًا. برأينا اتخذ هدف إنهاء الحرب لمصلحة العراق كهدف مركزي، ثم تمحور القتال وتوجيه الجهد لبلوغه بأسرع ما يمكن. ونجح العراق في أكثر من موقفٍ في تحقيق المباغطة، خصوصًا في الصفحة النهائية، وكانت المرونة وقابلية الحركة مدامة بشكل جيد، وبُذلت الطاقات للاقتصاد بالجهد بتعظيم القدرات لسد الفجوة الكبيرة مقابل التفوق البشري الإيراني 3:1.

- المعرفة: شهدت الحرب تصاعد المعرفة المهنية والتقنية بوتيرة معروفة ومرصودة، إلا أن طول فترة المواجهة في مرحلة الاستنزاف أجبر القيادة العراقية على التضحية بالمعرفة والمهارة المهنية لمصلحة سد النقص من جراء الخسائر الكبيرة التي عاناها كادر الضباط العراقي، ونجمت عن ذلك إخفاقات على مستوى الجبهة. وسارعت القيادة العراقية إلى معالجة هذه الحالة عند التخطيط لتحويلها إلى التعرض العام في نهاية الحرب، الأمر الذي رفع الأداء المهني إلى درجة عالية جدًا. ومن أهم الأمثلة على ذلك تبديل قائد الفيلق الرابع بآخر على الرغم من كفاءة الأول، لكن البديل كان يعرف المنطقة وقاتل فيها.

- وحدة القيادة: عانت القوات المسلحة العراقية مشكلة تدخل القيادات الحزبية في مفاصل مهنية ليست لديها معرفة بها، فأدى التدخل إلى تآكل المعنويات والثقة بهذه القيادات. حسم القائد العام الأمر بأن أناط بالقيادة العسكريين فحسب مهمة إدارة المعارك، وأعطاهم الحق بإصدار الأوامر إلى وحداتهم، ومع ذلك ظل شبح تدخل القيادات الحزبية في الشأن المهني يلوح بين حين وآخر.

- المرونة وقابلية الحركة: كانت الحرب العراقية - الإيرانية مناسبة ممتازة لفحص قدرة القوات ومنظوماتها الساندة على النقل على مختلف الجبهات، كما كانت فرصة جيدة لفحص كفاية واستيعاب الطرق ودرجة تحمل الجسور. نجحت القوات المسلحة العراقية في تحقيق مناورات تنقل استراتيجي وعملياتي على درجة عالية من دقة التوقيت وأمن القطعات والاستفادة القصوى من جهد النقل المتيسر في القطر، إلى الحد الذي مكّن قوة فيلق من الانتقال بإنذارٍ قد لا يزيد على 24 ساعة في بعض الحالات. نرى أن التنقل بفيلق والاقتران (التجحفل) (Grouping) بإنذارٍ قصيرٍ كانا أحد أهم الإنجازات العسكرية في النصف الثاني من القرن المنصرم.

- الأمن: في العلم العسكري ينقسم الأمن أربعة أقسام، أمن الأشخاص، وأمن المعدات، وأمن القطعات، وأمن المعلومات. في هذا المجال رأينا كيف أن هذا المبدأ جرى تنفيذه بحصافة، فلم يكن هناك هروب إلى جانب العدو إلا في حالاتٍ محدّدةٍ زمنيًا وظرفيًا. كما لم يفرّ أحدٌ بسلاحٍ أو معدّاتٍ قتاليةٍ لتسليمها إلى العدو، ولم تتعرض القطعات، ولا سيما في مراحل الحرب الأخيرة، لأي خرقٍ

أمنيّ. يذكر الخزرجي في مذكراته كيف تمت مخادعة الملحق العسكري الأميركي وتشيت انتباهه عن الهوية الحقيقية للقطعات المتنقلة على الطريق.

- الاستفادة من التقانة الحديثة: على الرغم من أن بعض المحلّلين الغربيين أخذ على العراقيين (والإيرانيين أيضًا) عدم قدرتهم على التفاعل مع معطيات التقانة الحديثة، وضرب أمثلة على ذلك بقصور في استخدام معدات الحرب الإلكترونية، أو بعدم قدرة الطوائف الأرضية على تهيئة وإعداد العتاد (الذخيرة) عند تحميله إلى الطائرات، الأمر الذي أدى إلى عدم انفجارها على الهدف، نرى نحن، مع الاعتراف بأن الإعداد الفني والمهني مع معدل الخسائر في الحرب، وطول مدّتها، قد تنتج جميعًا حالة من هذه الحالات، أنها حالة ليست حكرًا على القوات المسلحة العراقية، بل تشترك فيها كل الجيوش. وتكفي معرفة حجم الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها القوات الأميركية الغازية في عام 2003، وضرب الطراد الأميركي طائرة مدنية بريئة في بندر عباس فور إقلاعها في نهاية عقد الثمانينيات من القرن المنصرم، فهذه كلّها تدلّ على أن الخطأ البشري في التعامل مع معطيات التقانة في أحوال الحرب يكاد يكون عاملاً إنسانيًا شاملاً.

ثانيًا: الفريق الخزرجي والتطور في الفكر العسكري العراقي

مما لا شك فيه أن الفريق الخزرجي أدخل إلى الفكر العسكري العراقي تطورات مدهشة. صحيح أنه لم يحد عما ثبتته

كتب وكراسات القتال التي تعتمد عليها القوات المسلحة العراقية في إعداد قواتها للقتال، لكن الإضافة الجديدة الحقيقية التي أضافها هي إعادة التركيز على تدريب واعتماد ما جاء في هذه الكتب والكراسات التي كثيرًا ما أهملت نتيجة استخدام الجيش العراقي في واجبات الأمن الداخلي منذ اندلاع الثورة الكردية في أيلول/ سبتمبر 1961، ونقل ما جاء فيها إلى غرف وقاعات التدريس، وساحات التدريب وميادين التمارين التعبوية السنوية.

ليس هذا فحسب، بل استنبط معادلةً مهمة تُعين على التوصل إلى الاستفادة القصوى من الجهد القتالي المطلوب.

أشرت في تقديمي مذكراته إلى نظرية «الجندي والسلاح والأرض»، أي السعي إلى تطبيق كل منها بالآخر وإنشاء علاقة سوبرانيطيكية يتمخض عنها الحصول على الأداء القتالي الأفضل. كانت هذه النظرية هي التي استنبطها منذ تولّيه مناصب القيادة الدنيا بصفته قائدًا للفرقة المظلي، صعودًا في تسلسلات القيادة عندما تسنّم منصب قيادة لواء فرقة ففيلق، ثم تولّيه المنصب القيادي المهني الأعلى في القوات المسلحة العراقية، وهو منصب رئيس أركان الجيش، باعتبار أن منصب القائد العام ونائبه هما منصبان سياسيان، إذ كان يتولى الأول رئيس الجمهورية، ويتولى الثاني وزير الدفاع.

لو حاولنا أن نرصد التشكيلات التي قادها الفريق الخزرجي لوجدنا صدى هذه النظرية والمعادلة الدالة عليها واضحة، فالجندي والسلاح والأرض هي أضلاع مثلث البيئة القتالية، وبتفاعلها في

ما بينها تتقرر نتيجة المعركة ثم الحرب الدائرة. لاحظنا ذلك في معركة تل عترة - تل المال التي شارك فيها الفريق الخزرجي وفوجه في حرب تشرين 1973 المجيدة، كما شهدناها في المعارك والمناورات الخمس الأخيرة في الحرب العراقية - الإيرانية التي أشرف عليها تخطيطاً وتدريباً وقتالاً.

نشير في هذا الكتاب إلى أن الفريق الخزرجي أقرب إلى فكر الجنرال أروين رومل منه إلى فكر الجنرال مونتغمري. والواقع أنه كان يميل إلى فكرة الحرب الصاعقة (Blitzkrieg) التي ابتدعها الألمان، ولعل هذا ما ترسّب في بناء شخصيته، إذ كان متحمساً للألمان منذ يفاعته، إضافةً إلى كراهيته الإنكليز الذين أسروا والده ونفوه. هنا من المفيد ذكر أن أنصار فكر مونتغمري الذي يركز على التآني وصرف الكثير من الوقت في تأمين التحضيرات، والتأكد منها والتدقيق عليها، ثم التحرك بعد ذلك، كانوا يمثلون المدرسة السائدة في الفكر العسكري العراقي التي كان عزّابها أحد الضباط العراقيين الأفاضل وهو الفريق الأول الركن عبد الجبار شنشل، وعلى هديها سار رؤساء الأركان الذين خلفوه في المنصب، حتى تولّى الفريق الخزرجي هذا المنصب، فتحول نحو تطبيق فكره العسكري بعد أن حاز تأييد القائد العام وموافقته.

كثيرة الإنجازات في هذا المجال، ولعل من المفيد بيان أن الفريق الخزرجي بعد النصر في الحرب العراقية - الإيرانية أشرف على ما لا يقل عن سبع وأربعين دراسة تحليلية لمختلف فاعليات

القتال على مستوى التشكيلات الكبرى (الفيالق)، ومستوى أداء الصنوف (الأسلحة القتالية)، والخدمات (الإسناد اللوجستي). وكانت هذه الدراسات قد أنتجت الكثير من الدروس المستنبطة من الأداء القتالي، بما كان سيطور أداء القوات المسلحة العراقية لولا الانتكاسة التي مُني بها القطر منذ فرض الحصار الدولي غير الشرعي عليه، حتى كارثة الغزو والاحتلال في عام 2003.

ثالثاً: الولايات المتحدة الأميركية والحرب

اتخذت الولايات المتحدة الأميركية موقفاً انتهازياً من هذه الحرب، فهي على وجه التحديد مُنيت بخيبة كبيرة في إيران، حيث انتُهكت سفارتها وصودرت وثائقها ذات الأهمية الكبيرة. ولن ننسى العلاقات الحميمة التي كانت تربط الولايات المتحدة الأميركية بنظام الشاه، والتي لم تشفع له، بل كان الموقف الأميركي الذي قام به الجنرال هويزر نائب القائد العام للقوات الأميركية في أوروبا يرمي إلى تحييد مؤسسة القوات المسلحة المؤيدة للشاه، وضمان عدم قيامها بقمع المتظاهرين، أو القيام بانقلاب عسكري الأمر الذي سهّل على الخميني القدوم من باريس إلى طهران.

بعد أن فشلت عملية إنقاذ الرهائن التي خططت لها قوات التدخل السريع الأميركية، وسقطت طائراتها الهليكوبتر في صحراء طبس في إيران، لم تجد الولايات المتحدة من وسيلة إلا المفاوضات السرية لإطلاق سراح مواطنيها. من هنا فإن اندلاع

هذه الحرب شكّل فرصة لها للعب على حبال علاقات القوة بين البلدين، فجاء إسراعها إلى تزويد الإيرانيين بالأسلحة في العملية التي أطلق عليها اسم إيران - كونترا أو «إيران غيت»، وكذلك تزويد إيران بمعلومات عن انفتاح القوات العراقية. ورصد العراقيون وتأكدوا من حالتين بالتحديد، هما المخادعة التي تعرضت لها الاستخبارات العراقية عشية احتلال الفاو، وتزويد الإيرانيين بتفاصيل انفتاح القوات العراقية لتنفيذ عملية «توكلنا على الله - 1» التي تحقق بها تحرير الشلامجة.

يحاول الأميركيون من خلال محلليهم وكتابهم الإيحاء بأنه كان لهم دور في التعجيل بإنهاء الحرب من خلال جملة فاعليات بحرية نفذوها في الخليج العربي، مثل رفع العلم الأميركي على ناقلات النفط الكويتية، وضرب منصتي إنتاج نفطيتين إيرانيتين في الخليج العربي، وضرب إحدى الناقلات. ولربما نسي أولئك الباحثون ضرب الطراد الأميركي الطائرة المدنية الإيرانية من طراز إيرباص والضحايا المدنيين الأبرياء الذين قضوا من جراء ذلك.

لم يضع حدًا لهذه الحرب إلا العراقيون الذين جادوا بدمائهم زكية للدفاع عن حياض وطنهم، والقادة الأفاضل الذين قادوا أولئك الرجال وهم كثّر، وعندما نستذكرهم ونشيد بتضحياتهم لا ننسى أنه كان على رأس هرم القيادة العسكرية المهنية رجل فذ كالفرق الأول الركن نزار عبد الكريم الخزرجي.

رابعاً: الحرب الكيميائية وحلبجة

يوصم العراق منذ بدء الحملة الإعلامية والغربية لـ «شيطنته» بأنه استخدم السلاح الكيميائي، وعلى نطاق واسع، ضد الإيرانيين وضد شعبه. ويشيرون إلى حلبجة كمثال على هذا الاستخدام غير الإنساني لسلاح من أسلحة التدمير الشامل حرّمته لوائح دولية. ناقش الخزرجي في مذكراته قضية السلاح الكيميائي، وأسطورة ضرب العراقيين حلبجة بالأسلحة الكيميائية، وليس لدي المزيد لأضيفه، لكنني سأكرر الاستشهاد بمصادر أميركية معتمدة تشير في ما يخص حلبجة بعد الفحص والتمحيص الذي قامت به جهات أميركية علمية وسياسية، إلى أن نوع العامل الكيميائي السام الذي ضربت به حلبجة لم يكن ينتجه العراق، وإنما تنتجه إيران، وهنا بودي إيراد جملة بليغة التأثير أوردتها أنتوني كوردسمان وأبراهام واغنر في كتابهما الذي رجعنا إليه أكثر من مرة وفي تقديمهما له⁽¹⁾: «... هرب المدنيون الأكراد من البلدة (حلبجة) باتجاه العراق بدلاً من إيران، بعد سقوطها بيد الإيرانيين ونتيجة خوفهم من غيمة بيضاء مشتعلة، فكان أن وجّه الإيرانيون قذائف مدفعية مشحونة بغاز سيانيد الهيدروجين، وإن غاز السيانيد تسبب في مقتل معظم القتلى، وساهم في العديد من الإصابات. وألقت إيران اللوم على العراق في تلفزيونها الرسمي».

(1) أنتوني هـ. كوردسمان وأبراهام ر. واجنر، دروس الحرب الحديثة، ترجمة كلية القيادة والأركان، الإمارات العربية المتحدة، ص 644.

الشواهد على عدم استهداف العراق البلدة كثيرة، ويكفي أنها لم تكن على جدول أعمال أيٍّ من الوفود الأميركية الزائرة العراق قبل آب/ أغسطس من عام 1990. فضلاً عن التدقيق الذي أجراه الأميركيون وعرض بليتيير نتائجه في كتابه، ومقالات كثيرة أشير إليها في هوامش مذكرات الخزرجي.

الحرب الكيميائية سلاح بشع فعلاً، كما أنه سلاح لا يتمتع بالقدرة على حسم المعارك إلا بعد إعداد عملياتي ميداني كبير، وهذا ما لم يتوافر للعراق. من هنا كان استخدامه على الجبهة في أثناء القتال ومن جانب الطرفين كسلاح مؤثر في المعنويات بالدرجة الأولى. وكما قال الخزرجي إن الأيام هي وحدها الكفيلة بكشف المستور. وتكفي الإشارة إلى قيام سكان حلبجة بتظاهرات وهدمهم النصب الذي أقيم لتخليد الشهداء وجعل الجريمة باقية في الأذهان لشيطنة العراق في عام 2009، عندما تيقنوا أنهم ونصبهم بضاعة في مزاد سياسي. رحم الله مواطنينا شهداء حلبجة فهم أولاً وأخيراً مواطنون عراقيون شرفاء وأصيلون.

خامساً: خسائر الطرفين

لم تكن هذه الحرب تمثّل مثلاً متميّزاً لاستنزاف الموارد فحسب، بل وللسعي المتعمد من أحد طرفي الصراع إلى إطالة أمدها، بأمل كسر تصميم الخصم على خوضها. من هنا تصرف الخصم (العراق) بأقصى ما تمكّنه قدراته وباللجوء إلى أفضل ما تؤمّنه التقنية العسكرية من وسائل قتال بأمل استخدامها وبكثافة

لإجبار الخصم (إيران) المصمم على إطالة مدة الصراع على القبول بوقف الحرب واللجوء إلى طاولة المفاوضات. وعندما جفَّت منابع قدراته المالية لجأ إلى الاستدانة والاقتراض من أشقاء ودول أجنبية ومؤسسات مصرفية عالمية، فساعد هذا في خلق أزمة لاحقة، ساهم سوء إدارة ملفاتها في الإجهاز على قدراته الاقتصادية بالكامل.

على الرغم من أن صرفيات العراق على التسلح فحسب، وهذا ليس الفاتورة المالية كلها التي تحمّلها، تشير بحسب دراسة مرفوعة إلى الكونغرس الأميركي عن حركة نقل الأسلحة، على مستوى العالم للأعوام 1980 - 1987، إلى أن العراق صرف على التسلح في هذه الفترة ما معدله 395 في المئة أكثر مما صرفته إيران (في الفترة نفسها) التي شكّل إنفاقها على التسلح ما معدله 26.6 في المئة من مجمل إنفاق العراق على التسلح⁽²⁾، فإن هذا لا يعني أن إيران كانت الأكثر حكمة في الإنفاق، ذلك لأن إنفاق إيران القليل قابله دماءٌ إيرانية شابة سُفكت لتعويض النقص التقني في نوعية الأسلحة.

ألقت هذه الحرب بكلّكلها على عاتق البلدين وشعبيهما وبنيتهما الارتكازيتين وأرصدة حساباتهما الجارية والاحتياطية، حتى أشرفا في نهايتها على الوصول إلى الخطوط الحمر من الناحية الاقتصادية.

(2) للاطلاع على تفاصيل الإنفاق على التسلح وبحسب الدول، انظر: Richard F. Grimmett, «Trends in Conventional Arms Transfers to the Third World by Major Supplier, 1980-1987,» (Congressional Research Service Report; 88-352, Washington, DC, 9 May 1988).

وعند محاولة التعرف واستذكار الخسائر البشرية التي مُني بها البلدان، يُقدَّر أنتوني كوردسمان وأبراهام واغنر هذه الخسائر بما يتراوح بين نصف مليون ومليون قتيل، وبين مليون ومليونين جريح ومصاب، وبخمس وأربعين ألف أسير حرب، ومليونين ونصف المليون مشرد⁽³⁾. وتشير إحصاءات أخرى إلى أن العراق تحمّل مئة وخمسين ألف شهيد، وضعف العدد من الجرحى والمعاقين⁽⁴⁾.

على صعيد تدمير البنى الارتكازية التي عاناها البلدان، ليست هناك أرقام قاطعة بالمبالغ المقدّرة، وإن أشار بعض التقادير إلى أن ما تحمّلته إيران يفوق الـ 100 مليار دولار تطالب بها العراق. ولم ينم إلى علمنا ما تحمّله العراق، على الرغم من أنه بدأ في إعادة الإعمار فور انتهاء الحرب، ومنها إعمار البصرة والفاو اللتين أصابهما التدمير بشكل كبير.

Anthony H. Cordesman and Abraham R. Wagner, *The Lessons of Modern (3) War*, 4 vols. (Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996), vol. 2: *The Iran-Iraq War*, Introduction, pp. 2-3.

TNDM Newsletter, vol. 2, no. 3 (December 1997), pp. 10-13.

(4)

خاتمة

لم تكن هذه الدراسة الطويلة نسيئًا تكملة لمذكرات الخزرجي، وإنما محاولة لتوثيق هذه الحرب بموازاة ما جاء في الرواية الرصينة التي يقدمها لنا رئيس الأركان السابق. وهي في كل الحالات اجتهادات شخصية أتحمل مسؤوليتها وحدي. ولعل ما يشفع لهذه الدراسة أنها التزمت القواعد الأكاديمية بصرامة ومن دون انحياز إلى وجهة نظر بعينها، بل تركت الوثائق تتحاور في ما بينها وقدمت رؤيتي فيها اعتمادًا على إمكانياتي التحليلية وخبرتي المستقاة من معاشتي اليومية، طوال فترة هذه الحرب الضروس.

في الخاتمة، من ذهب ضحية هذه الحرب من طرفي القتال كان يقاتل دفاعًا عن قضية يؤمن بها، فله الرحمة. كم كنا نأمل (ولا نزال) في أن تسود بين العراق وإيران الجارين الأبديين روح حسن الجوار والمصالح المشتركة، وكم نتمنى أن يصل البلدان إلى بناء علاقات حسن جوار وعلاقات تفاعلية لا هيمنة فيها ولا استتباع، لتستقر بذلك هذه المنطقة الحيوية من العالم التي تعتمد على استقرارها سلامة شعوبها ورفاهيتهم، وليستقر العالم الذي يعتمد كثيرًا على ما تمده به هذه المنطقة.

سيتمتع القارئ وهو يمرّ بين دفتي مذكرات الفريق الأول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي: الحرب العراقية - الإيرانية (1980 - 1988): مذكرات مقاتل، وسيشعر بالعرفان للمؤلف الذي أرّخ مرحلة قتالية مجيدة، أثبتت العسكرية العربية فيها أنها نُدُّ يجب أن يُحسب حسابه، لو أُتيحت لها الأحوال للانصراف إلى مهماتها الوطنية والقومية، وتركت الشأن السياسي العام للسياسيين.

في هذه المناسبة يرى المراقبون العرب والعراقيون على وجه التحديد، أن الأداء العراقي المتفوّق في خاتمة هذه الحرب كان واحدًا من الأسباب المهمة التي أدت إلى استهداف العراق، وكلنا سمع كيف تضخمت الروايات عن ثالث أو رابع جيش في العالم فور انتهاء الحرب، وكيف قادت هذه القناعة التي أريد لها أن ترسخ في أذهان الناس إلى البدء باستهداف العراق بإثارة سجل حقوق الإنسان وفرض العقوبات واستفزاز القيادة العراقية التي دفعت إلى كارثة الكويت.

إن الجيش الذي نفّذ هذه العمليات الكبرى لم يعد موجودًا الآن، وما حل محله هو شبه جيش مترهل أنيطت به مهمات الأمن الداخلي بعد أن استبيح العراق، وفقد سيادته واحتُل، ثم ترك نهبًا للظامعين ليتحكّموا بمصيره وثوراته. حل المحتلون الأميركيون هذا الجيش بقرار أصدره الحاكم الأميركي بول بريمر، لكن ما بقي منه في ذاكرتنا هو أداؤه المتميز في معاركه، وقبور شهدائه التي تُطرّز الأرض العربية في فلسطين والأردن وسورية، وبصماته على الأرض العربية في كل مكان دعاه الواجب القومي ليتواجد قتالًا

أو تدريبًا، في الجزائر وليبيا الملكية واليمن الملكي والجمهوري
وفلسطين ومصر في حربي 1967 و1973، والأردن في كل حروبه
مع العدو الصهيوني، وسورية أيضًا.

سيأتي يوم ينهض الجواد من كبوته ويعود العراق سيدًا أبيًا،
وسيبنى أبنائنا وأحفادنا جيشه ليقوم بما قام به الجيش الأبّي الذي
نؤرخ معاركه.

المراجع

1 - العربية

أبو غزالة، محمد عبد الحليم. الحرب العراقية الإيرانية، 1980-1988. [د. م.: د. ن.]، 1993.

الأحمري، محمد حامد [وآخرون]. العرب وإيران: مراجعة في التاريخ والسياسة. تحرير عزمي بشارة ومحجوب الزويري. بيروت؛ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

الخميني، روح الله الموسوي. الحكومة الإسلامية. ترجمة حامد الغار. بيركلي: [د. ن.]، 1981.

ربيع، حامد. نظرية السياسة الخارجية. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1969.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تاريخ الخلفاء. بيروت: دار الكتاب العربي، 2006.

العراق، وزارة الخارجية، اللجنة الاستشارية. النزاع العراقي الإيراني: ملف وثائقي. بغداد: اللجنة الاستشارية، 1981.

كوثراني، وجيه. الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية، الفارسية والدولة العثمانية. ط 2 منقحة ومزودة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001.

كوردسمان، أنتوني هـ. وأبراهام ر. واجنر. دروس الحرب الحديثة. ترجمة كلية القيادة والأركان، الإمارات العربية المتحدة.

نديم، شكري محمود. حرب إفريقيا الشمالية، 1940-1943. ط 5. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1974.

الوردي، علي حسين. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث. بغداد: مطبعة العاني، 1965.

_____. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. 6 ج في 8 مج. لندن؛ بيروت: دار الوراق، 2007.

ج 1: من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر.
ج 2: من سنة 1831 إلى سنة 1872.

2 - الأجنبية

Books

Abdulghani, Jasim Mohammad. *Iraq and Iran: The Years of Crisis*. London: Croom Helm, 1984.

Addington, Larry H. *The Blitzkrieg Era and the German General Staff, 1865-1941*. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, [1971].

Copeland, Dale C. *The Origins of Major War*. Ithaca: Cornell University Press, 2000. (Cornell Studies in Security Affairs)

- Cordesman, Anthony H. and Abraham R. Wagner. *The Lessons of Modern War*. 4 vols. Boulder, Colo.: Westview Press; London: Mansell Pub., 1990-1996.
vol. 2: *The Iran-Iraq War*.
- Dees, W. Jack. *Iraqi Military Effectiveness in the War with Iran*. Newport, RI: Naval War College, [1990]. (Middle East Special Studies, 1989-1991 supplement; 4. Special Studies Series)
- Department of Defense Dictionary of Military and Associated Terms*. [Washington, DC: Government Reprints Press], 1911. (Joint Publication; 1-02)
- Goerlitz, Walter. *History of the German General Staff, 1657-1945*. Translated by Brian Battershaw; Introduction by Walter Millis. Boulder, Colo.: Westview Press, 1985.
- Hiro, Dilip. *Iran under the Ayatollahs*. London; New York: Routledge and Kegan Paul, 1985.
- . *The Longest War: The Iran-Iraq Military Conflict*. New York: Routledge, 1991.
- Karsh, Efraim and Inari Rautsi. *Saddam Hussein: A Political Biography*. London: Brassey's, 1991.
- Khadduri, Majid. *The Gulf War: The Origins and Implications of the Iraq-Iran Conflict*. New York: Oxford University Press, 1988.
- Marr, Phebe. *The Modern History of Iraq*. Boulder, Colo.: Westview; London: Longman, 1985.
- Mauil, Hanns W. and Otto Pick (eds.). *The Gulf War: Regional and International Dimensions*. New York: St. Martin's Press, 1992.
- Parsi, Trita. *Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States*. New Haven: Yale University Press, 2007.
- Pelletiere, Stephen C. *The Iran-Iraq War: Chaos in a Vacuum*. New York: Praeger, 1992.
- and Douglas V. Johnson. *Lessons Learned: The Iran-Iraq War*. Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U. S. Army War College, 1991.

- and Leif R. Rosenberger. *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East*. Carlisle Barracks, Pa.: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1990.
- Ramazani, Rouhollah K. *Iran's Foreign Policy, 1941-1973; a Study of Foreign Policy in Modernizing Nations*. Charlottesville: University Press of Virginia, [1975].
- Stone, David J. A. *Twilight of the Gods: The Decline and Fall of the German General Staff in World War II*. London: Conway, 2011.
- Van Evera, Stephen. *Causes of War: Power and the Roots of Conflict*. Ithaca: Cornell University Press, 1999. (Cornell Studies in Security Affairs)

Periodicals

- Gause, F. Gregory. «Iraq's Decisions to Go to War, 1980 and 1990.» *Middle East Journal*: vol. 56, no. 1, Winter 2002.
- Karsh, Efraim. «Geopolitical Determinism: The Origins of the Iran-Iraq War.» *Middle East Journal*: vol. 44, no. 2, Spring 1990.
- . «Military Lessons of the Iran-Iraq War.» *Orbis*: Spring 1989.
- . «Military Power and Foreign Policy Goals: The Iran-Iraq War Revisited.» *International Affairs*: vol. 64, no. 1, Winter 1987-1988.
- McAlister, Melani. «A Cultural History of the War without End.» *Journal of American History*: vol. 89, no. 2 (A Special Issue): *History and September 11*, September 2002.
- McNaugher, Thomas. «Ballistic Missiles and Chemical Weapons: The Legacy of the Iran-Iraq War.» *International Security*: vol. 15, no. 2, Autumn 1990.
- Ramazani, Rouhollah K. «Ideology and Pragmatism in Iran's Foreign Policy.» *Middle East Journal*: vol. 58, no. 4, Autumn 2004.
- Razi, G. Hossein. «An Alternative Paradigm to State Rationality in Foreign Policy: The Iran-Iraq War.» *Western Political Quarterly*: vol. 41, no. 4, December 1988.

Segal, David. «The Iran-Iraq War: A Military Analysis.» *Foreign Affairs*: vol. 66, no 5, Summer 1988.

«The Strange War in the Gulf.» *Merip Reports*: nos. 125-126, July - September 1984.

Swearingen, Will D. «Geopolitical Origins of the Iran-Iraq War.» *Geographical Review*: vol. 78, no. 4, October 1988.

TNDM Newsletter: vol. 2, no. 3, December 1997.

Western Political Quarterly: vol. 41, no. 4, December 1988.

Documents

Grimmett, Richard F. «Trends in Conventional Arms Transfers to the Third World by Major Supplier, 1980-1987.» (Congressional Research Service Report; 88-352, Washington, DC, 9 May 1988).

National Security Archive. «The Oliver North File: His Diaries, E-Mail, and Memos on the Kerry Report, Contras and Drugs.» (National Security Archive Electronic Briefing Book; no. 113, 26 February 2006), on the Web: <<http://www2.gwu.edu/~nsarchiv/index.html>>.

Torrez, Karla and Vincent Difronzo. «The Iran-Iraq War: Exceeding Means.» (National Defense University, National War College, October 2000).

فهرس عام

- 1 -

الأردن: 160-161

إسرائيل: 15، 18، 24، 30-31،
35، 97

الأسرى العراقيون: 85

الأسلحة الكيماوية: 10، 155

إسماعيل الصفوي: 72

أشوية (مكان): 57

أصفهان: 142

الأصفهاني، أبو الحسن: 37

أفغانستان: 90

ألمانيا: 32-33

أم الرصاص (جزيرة): 109

إمام زادة عباس (موقع): 80

الأمم المتحدة: 40، 49، 77

- الجمعية العامة: 77

-- القرار (3314XXIX): 77

- مجلس الأمن: 30، 81، 136

أبو غزالة، محمد عبد الحليم: 19،
88

الاتحاد السوفياتي: 133، 137

اتفاقية 1937 تنظيم الملاحة في
شط العرب: 90

اتفاقية الجزائر (1975): 16، 40،
46-47، 61، 63، 66، 89،

132

الاحتلال الأميركي للعراق
(2003): 41، 153

احتلال الفاو (1986): 103-
105، 115، 117، 141،

154

الاحتياطي النفطي العالمي: 35

الأحواز: 50، 78، 80، 100

أربيل: 57

الأرجنتين: 97

- القرار 479/1980: 31،
81
- القرار 598/1987: 108
- الميثاق: 77
- الإنتاج النفطي: 96
- إندمشك (ضاحية): 137
- الأنصاري، إبراهيم فيصل: 25
- الإنفاق على التسليح: 157
- الانقسام الطائفي: 25
- إيران: 15-17، 22، 26، 30-31،
33-35، 38-44، 46-49،
52، 57، 59، 61-66، 68-
74، 77-78، 80-82، 89-
90، 96-99، 103، 105-
106، 108-109، 115،
119، 126-128، 130-
131، 137-141، 146-
147، 153، 155، 157، 159
- إيطاليا: 134-135
- ب -
- بارسي، تريت: 41
- باريس: 153
- بازركان، مهدي: 68
- الباسيج: 83، 101، 138
- باي طاق: 57، 59-61، 81
- بختيار، تيمور: 48
- بدرة: 57، 60
- بريمر، بول: 160
- بسمارك: 43-44
- بسماية: 57
- البسيتين: 80، 137
- بشارة، عزمي: 10-11
- بشتكوه (جبال): 61
- البصرة: 34، 63، 80، 89، 96،
98-100، 105، 109، 115،
139-140، 158
- بعقوبة: 57
- بغداد: 23، 34، 57، 59-62،
74، 78، 98-99، 110،
139-140
- البكر، أحمد حسن: 68-69
- بليتير، ستيفن: 19، 98، 101،
109، 156
- بن يحيى، محمد الصديق: 74
- بني صدر، أبو الحسن: 37، 39،
52
- ث -
- تركيا: 90
- التشيلي: 97

- تصدير الثورة: 42-43، 46، 49، 52، 147
- تعديل الحدود مع الكويت: 136
- التمرد الكردي: 89
- ث -
- الثورة الإسلامية في إيران (1979): 37، 39، 41، 47-51، 68، 120، 147
- الثورة الكردية (1961): 151
- ج -
- الجزائر: 74، 161
- جنوب أفريقيا: 97
- جهاز الأمن والاستخبارات الإيرانية (السافاك): 48
- جوارته: 121
- ح -
- حاج عمران (موقع): 57
- الحرب العربية الإسرائيلية (1967): 161
- الحرب العربية الإسرائيلية (1973): 29، 152، 161
- معركة تل عتر - تل المال: 152
- الحرب الوقائية: 43
- الحرس الثوري الإيراني: 43، 50، 103، 101، 52
- حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق): 48، 146
- حزب الدعوة: 42-43
- الحسين بن علي (الإمام): 40
- حسين، صدام: 37، 39، 69
- حليجة: 10-11، 60، 103-104، 109-110، 155-156
- حلف بغداد (1955): 90
- الحمداني، رعد: 23
- حميرين: 59
- خ -
- خانقين: 16، 42، 48-49، 57، 59-60
- خدوري، مجيد: 22
- الخرزجي، عبد الكريم فيصل: 24
- الخضر (جزيرة): 63، 89-91، 100
- الخفاجية: 137
- الخليج العربي: 48، 63-65، 87، 105-106، 119، 129، 133-135

- خليج عمان: 133
 خليل، برهان: 85-86
 الخميني، روح الله الموسوي: 31، 37-39، 41، 43، 48-49، 52، 67-69، 74، 104، 108، 146، 153
 خير الله، عدنان: 27، 70، 111، 116
 - د -
 الدراجي: 80
 دراويشكة: 59
 الدليمي، اهتيمي نكه غيدان: 107
 دمشق: 29
 الدولة الصفوية: 71
 الدولة العثمانية: 71
 ديتير، غُلشان: 21
 الديري، عبدو: 133-134
 ديز، و. جاك: 21
 ديزفول: 78، 80، 85، 137
 - ذ -
 ذنون، عبد الجواد: 45
 - ر -
 راضي، ج. حسين: 20، 43-44، 68
 راوتسي، إيناري: 19
 راوندوز: 57
 رايات: 57
 رضا بهلوي (شاه إيران): 90
 الرهائن الأميركية في إيران: 153
 روبنز، فيليب: 19
 - ز -
 زين القوس: 42
 - س -
 سد دربندخان: 109-110
 سربيل زهاب: 59، 61، 79
 سري بول زهاب: 57، 81
 السفارة الأميركية في طهران: 51
 السليمانية: 23، 34، 57، 62، 117
 سوران (شهرزور): 57، 62
 سورية: 34، 59، 119، 140، 160-161
 السوق النفطية العالمية: 35
 سومار: 60، 81
 سويرنغن، ويل د.: 22
 سيغال، ديفيد: 20، 103-104

- ش -

شاهين، محمود شكر: 82

شط العرب: 22، 40، 46، 62-

63، 66-67، 80، 87، 89-

90، 96، 105، 118، 131

السلامجة: 62، 118

شمال العراق: 96

شنشل، عبد الجبار: 152

الشوش: 78، 80، 85

شيعا العراق: 48، 140

- ص -

الصدر، محمد باقر: 67

الصراع العربي - الإسرائيلي: 30،

146

الصين: 97

- ط -

الطاهري: 85

طهران: 51، 57، 69، 74، 90،

100، 138-139، 142، 153

- ع -

عبادان: 34، 63، 78، 80، 87،

89-91، 100

عبد الإله (الوصي على العرش

العراقي): 90

عربستان (خوزستان): 48

العسكرية العربية: 160

العلاقات العربية - العربية: 119

العمارة: 59، 63، 78

عمليات «توكلنا على الله»: 118

- عملية «توكلنا على الله - 1»:

154

عمليات «كربلاء»: 96، 108

- عملية «كربلاء 5»: 109

عمليات «مسلم بن عقيل»: 96

عمليات «النصر»: 96

عمليات «والفجر»: 96

عملية تحرير الفاو: 117

عملية «رمضان مبارك»: 117،

135

عيلام: 57

- غ -

غاوس الثالث، إيف غريغوري: 39

- ف -

الفاو: 45، 86، 89، 103-108،

117، 158

فرنسا: 129، 135

فضيحة «إيران غيت»: 15، 97،

154

- الفكرة: 59، 80، 85
- الفكر العسكري العراقي: 150، 152
- فكرة الحرب الصاعقة: 152
- الفلاحية: 78، 80
- فلسطين: 160-161
- فيصل الأول (ملك العراق): 90
- ق -
- القاضي، صلاح عارف: 87
- قصر شيرين: 47، 57، 59-60، 78، 81
- قضية الجزر الإماراتية المحتلة: 146
- قضية الحدود العراقية - الإيرانية: 56، 70-71، 90
- القضية الفلسطينية: 146
- قم: 100، 138، 142
- قناة الخين: 62
- القوات البحرية العراقية: 117، 132-134
- القوات الجوية الإيرانية: 16، 110، 126
- القوات الجوية العراقية: 130، 139
- القوات المسلحة الإيرانية: 33، 51، 73، 103
- القوات المسلحة العراقية: 10، 24، 27-29، 47، 65، 80-81، 87، 89، 95، 100-104، 110، 121، 130-131، 151، 153
- الحرس الجمهوري: 116-117
- الفرقة الآلية الأولى: 80
- الفرقة الآلية الخامسة: 80
- الفرقة العاشرة: 80
- الفرقة المدرعة التاسعة: 80، 82
- الفرقة المدرعة الثالثة: 80
- الفرقة المدرعة السادسة: 81
- فرقة المشاة السابعة: 23، 27، 71
- الفيلق الأول: 117
- الفيلق الثالث: 87
- الفيلق السابع: 117
- اللواء المدرع العاشر: 82
- لواء المشاة 101: 107
- القوات المسلحة المصرية: 78

- ك -

المثلث الحدودي العراقي الإيراني

التركي: 57، 115

الكاتب، أحمد: 43

محكمة العدل الدولية: 74

كارش، إفرام: 19، 65-66

المحمرة: 34، 78، 80، 85

كربلاء: 138

المذهب الإمامي الإثني عشري:

كرج: 57

73

کردستان الإيرانية: 50

مركز الدراسات الدولية

كركوك: 34، 139

والاستراتيجية في واشنطن: 20

كرمنشاه: 57، 61

مركز دراسات الوحدة العربية: 22

كشك البصري: 63

المركز العربي للأبحاث ودراسة

كوت الهواشم: 80

السياسات: 10-11

مصر: 161

كوردسمان، أنتوني: 20، 44،

155، 158

مضيق هرمز: 110، 127، 133

معاهدة حلف الستو (بغداد سابقاً)

كوريا الشمالية: 34، 140

(1955): 68

الكونغرس الأميركي: 157

معاهدة زهاب (1639): 63، 67

الكويت: 21، 39، 66، 105،

معاهدة سعد آباد (1936): 90

136، 160

معدل، منصور: 23، 120

كيلان غرب: 23، 60، 81، 79

معركة بسيتين (1981): 82-83

- ل -

معركة الخفاجية (1981): 82-83

لبنان: 59، 97

معركة العقدين 14 و 15: 106

ليبيا: 34، 119، 140، 161

مندلي: 42، 48-49، 60، 62،

- م -

96، 81

منظمة دول عدم الانحياز: 68

المارينز: 118

مهران: 47، 57، 60-61

ماوت: 121

مؤتمر قمة عدم الانحياز (1979):

هافانا): 69

المؤسسة العسكرية العراقية: 21

الموصل: 34، 57، 139

موظفو السفارة الأميركية

المحتجزون في طهران: 46

ميسان: 78

- ن -

نظرية الحتم الجيوبوليتيكي: 66

النفط خانة: 42، 48، 62

نهر ديالى: 115

نهر الطيب: 80

نهر الكارون: 63، 80، 87

- ترعة بهمنشير: 87، 89

نهر الكرخة: 80-81

نهر الكرخة العمية: 80-81

نورث، أوليفر: 97

- ه -

الهجوم الاستباقي: 79

همدان: 57

الهند: 10، 33

هور الحويزة: 62-63، 98، 105

هورمان (جبال): 57

هيرو، ديليب: 18، 21

هيئة الأركان العامة العراقية: 33،

46

- و -

واغنر، أبراهام: 20، 44، 155،

158

وحدة الأمة العربية: 146

وكيل الزاد، سيروس: 23، 120

الولايات المتحدة: 15، 26، 32،

36، 46، 51، 106، 117-

118، 120، 130، 153

- ي -

اليابان: 33

يزدي، إبراهيم: 69

اليمن: 161

هذا الكتاب

عبرة عن قراءة نقدية ووصفية لمذكرات الفريق نزار الخزرجي التي أصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بعنوان **مذكرات مقاتل**. والفريق الخزرجي كان ضابطاً بارزاً في الجيش العراقي ورئيساً لأركانها في إحدى مراحل الحرب العراقية - الإيرانية. أما الكاتب فهو المستشار البحري لرئيس الأركان نفسه، ومستشاره لشؤون البحث والتطوير أيضاً. وبهذا المعنى يمكن القول إن عسكرياً عراقياً خاض الحرب ضد إيران يتصدى لقراءة مذكرات عسكري عراقي خاض بدوره معارك الحرب ضد إيران منذ اندلاعها في 22/9/1980 حتى توقفها في 8/8/1988، فكانت إحدى أطول حروب القرن العشرين.

عبد الوهاب عبد الستار القصاب

حاز الدكتوراه في الدراسات الإستراتيجية من كلية أركان القوات المسلحة ويلغتن في الهند ومعهد الدراسات الدفاعية والإستراتيجية - جامعة مدراس - الهند. أسس مركز الزمان للدراسات الإستراتيجية في بغداد عام 2003، وعمل مستشاراً للمركز العراقي للدراسات الإستراتيجية في عمان، ومركز الدراسات الإستراتيجية التابع للقوات المسلحة القطرية. يعمل حالياً باحثاً مشاركاً في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ويشرف على البرنامج الإستراتيجي الذي ينبثق منه العديد من المشاريع؛ من أعماله: احتلال ما بعد الاستقلال: التّداعيات الإستراتيجية للاحتلال الأمريكي للعراق (2007). التّوازن الإستراتيجي للوطن العربي (2004). التسلح: بين النظرية والتّطبيق (2005).

السعر: 6 دولارات

ISBN 978-9953-0-2930-6



9 789953 029306

